

مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية

مصطلحات صوتية غامضة

أ.د. علي سيّد أحمد جعفر
الأستاذ بجامعتي الأزهر والطائف
عضو المجمع



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

جعفر، علي سيد أحمد

مصطلحات صوتية غامضة. / علي سيّد أحمد جعفر ـ مكة المكرمة،

١٤٣٢هـ

١٩٥ ص؛ ..سم

ردمك: ٥-٣٣٢٨-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- **اللّغة العربية - الأصوات - مصطلحات** أ. العنوان

ديوي ٥٠٣، ٤١١ ١٤٣٤/٩٣٢٦

رقم الإيداع: ١٤٣٤/٩٣٢٦

ردمك: ٥-٣٣١٨-٠١-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م



مكة المكرمة – مخطط الزايدي – حي التخصصي

تليفون ٠٠٩٦٦١٢٥٤٠٢٩٩٩ جوال ٠٠٩٦٦٥٥٤٠٢١٩٩

ص ب: ٦٥٥٩ الرمز البريدي ٢١٩٥٥

www: m-a-arabia.com

E-mail: m-a-arabia@hotmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه .. أما بعد:

فلم يوشك عام المجمع الأول أن يبلغ آخر أيامه إلا وقد اجتمع بين يديه حزمة من البحوث والكتب التي استبقت باب الحظوة والظفر حين وردت لتصدر في قائمة مطبوعاته، والشرف صادر منها وهو إليها وارد، فما هو إلا علم يقدَّم من أهله إلى مهيع علم ينفع الناس ويمكث في الأرض، وكان من تلك البحوث (**مصطلحات صوتية غامضة**) صنْعَةُ أ.د. علي سيد أحمد جعفر، عضو المجمع، والأستاذ بجامعتي الأزهر والطائف، وعضو هيئة التحرير بمجلة المجمع، وتتجلى فائدة الكتاب في أمور:

منها: التعريف بمصطلحات غامضة في خبايا مصنفات اللّغة لا يعرفها كثير من الناس. ومنها: إبراز الجهد الذي قدّمه أئمة اللّغة وعلماؤها، في تحقيق مخرج الحرف وصفته الظاهرة والباطنة، بتدقيق وإمعان، بما يشهد لأولئك الأعلام بالمعرفة التامة، والعناية القائمة، كما يشهد للعربية ومنطقها بالفصاحة والنصاعة والبيان. ومنها: بيان الصِّلة المحكمة (بالقوة والفعل) بين القراءة القرآنية وبين اللّغة العربية، فكلٌّ منهما يمدّ الآخر ببيانه، أمّا إمداد اللّغة فالتحقيق والتعريف الدقيق، وأمّا إمداد القراءة فالأداء وحسن التطبيق.

فدونكما أيها (القمران المنيران) بضياء العربية، ونور القرآن ما اشتمل عليه هذا المصنَّف الذي بُسط بتحرير مفصل عن الهمزة وهيئتها، وعن الهاء وليونتها، وطلاقة العين ونصاعتها، والهاء وبُحَّتها، والقاف وطلاقتها، والطاء وكزازتها، والدال وليونتها، والتاء وخفوتها، والفاء وظهورها، والثاء وبيانها.

نسأل الله أن ينفع بهذا البحث القيِّم، وأن يزيد كاتبه الأستاذ الدكتور/ على سيد أحمد جعفر توفيقًا فيما يقصد، وإحسانًا فيما يعمل ويكتب، وأن يجعل هذا المجمع مثابةً لأمَّة البيان ، وأن يجزل المثوبة لداعم المجمع، ومجلته، وإصداراته، سعادة الشّيخ/ مشعل ابن سرور الزايدي، أكثر الله من أمثاله من أهل الخير والجود، الذين يحملون همَّ دينهم ولغتهم ووطنهم، في هذا البلد الأمين، الحافظ الفضلَ لأهل الفضل، المثني على ذوي الجميل بالجميل.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل،،

رئيس المجمع

د. عبد العزيز بن علي الحربي

مصطلحات صوتية غامضة

أ. د. علي سيد أحمد جعفر

الأستاذ بجامعتي الأزهر والطائف

عضو المجمع

مقـــدمة

في أثناء انعقاد إحدى حلقات المنتدى العلمي (السيمنار) بقسم أصول اللغة في كليتنا الفتيَّة سنة ١٩٩٣م لفت أستاذنا الدكتور/ عبد الله ربيـع - المشرف على القسم آنذاك - أنظارَنا إلى جملة من المصطلحات الصـوتية الملازمة لنطق بعض أصواتنا اللغوية قائلا: إنها تحتاج إلى شرح لها وبيان لمفهومها، ورجا أن يتكفل أحدُنا في القسم بدراستها من خلال معطيـات علـم الأصـوات، ودلّنـا علـى مكـان تجميعهـا وهـو كتـاب أسـتاذنا الدكتور/عبد العزيز علام: (عن علم التجويد القرآني في ضوء الدّراسات الصوتية الحديثة)، ،واختمرتْ الفكرة في رأسي فعزمت على تنفيذها.

وسـافرت في إعـارة إلى مدينـة (أبهـا) بالمملكـة العربيـة السـعودية، فاصطحبت معى بعض المراجع والكتب التى أحتاج إليها في هـذا العمـل العلمي، وفتَّشْتُّ في المكتبات الموجودة هناك عن المراجع الأخرى التي تلزمني ... والذى لا أجده فيها وكان عنـدي بمكتـبتى الخاصـة بالقـاهرة كنت أهاتف أحد زملائي في القسم يسكن قريبا منى، أو بعضَ إخوتى أن يقوموا بإرساله إليّ عن طريق البريد.

وظلِلْـتُ أجمـع مـادتى العلميـة لهـذا الكتـاب طيلـة سـنتين تقريبـا، واحتفظت ببطاقاتها في محفظة خاصة.

ثم انصرفت عن الكتاب في هذا الموضوع، لإحساسي أنه بحاجـة إلى مزيد من الجهد، حيث إن مفرداته كلَّها غامضـة، وربمـا أصـل فيهـا إلى نتيجة أوْ لا أصل.

ولعل هذا هو الذي صرف غيري عن البحث فيه أو الكتابة عنه. وأخذت في عمل بحث آخر أكمل به الأعداد المطلوبة للترقى إلى درجة أستاذ مساعد فكان كتابي الذي حققت مخطوطتيه بعنوان : (ردُّ بغية المرتاد لتصحيح الضاد) للشيخ على المنصوري (ت١١٣٤هـ).

وانتهت الإعارة، وعدت إلى مصر، وبدأت الشروع في إخراج هذا البحث إلى النور عسى أن يسهم - بشكل أو بآخر - في وضع لبنة في تخصصنا المتعب الممتع في آن! فكان هذا الكتاب الذى بين يديك أخى القارئ، وجعلت، عنوانه: ظواهر صوتية غامضة.

وعدد تلك الظواهر عشر: ثمانٍ منها ظواهر عالجها اللغويون (١-٨)، واثنتان اهتم بهما التجويديون (٩-١٠) على الترتيب الآتي:

١- هتَّةُ الهمزة.

٢- هتة (=ههّة)الهاء، وليونتها وهشاشتُها.

٣- طلاقة العين، ونصاعتها.

٤- بُحَّة الحاء.

٥- طلاقة القاف، ونصاعتها.

٦- كزازة الطاء، وصلابتُها.

٧- ليونة الدال.

٨- خفوت التاء.

٩- الظاء المُشالة.

١٠- ظهور الفاء والحاء والثاء.

وهذه الظواهر الصوتية الغامضة عبارة عن صفات جَوْهرية مصاحبة لأصواتها مُشَخِّصة لها في النطق العربي القديم والصحيح اليوم؛ لأن ذلك يتصل بجوهر الصوت وذاته[١].

ويُعدُّ البحث في تلك الظواهر وغيرها من قبيل البحث في قضية (المصطلح اللغوى) الذى «تقوم التعريفات فيه على الألفاظ الدقيقة الدلالة، التى لا ينبغى التسامح في استعمال ألفاظها»[٢]

وهذا التوجُّه ضرورى لازم لدى كل من القدماء والمحدثين على السواء.

هذا، ودراستنا للمصطلحات المذكورة دراسة وصفية في المقام الأول، وإن كانت مؤسسةً على ما قام به أساتذتنا الذين سبقونا بالدراسات المعملية أو الانتقالية أو الإدراكية لبعضٍ من أصواتها.

ويُدْرَس كل موضوع من موضوعات هذا الكتاب من زاويتين، هما:

١- المخرج.

٢- طريقة النطق به، حيث الصفات الصوتية المصاحبة أو المشخّصة.

وقد «قيل: إن معرفة المخرج بمنزلة الوزن والمقدار، ومعرفة الصفة بمنزلة المحكّ والمعيار»[٣].

---

(١) راجع: عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة (١١٧).
(٢) أصوات اللغة العربية، د. محمد حسن جبل (١١٦)، بتصرف يسير.
(٣) المنح الفكرية، شرح المقدمة الجزرية للمُلاّ علي القاري (١٠).

قال الزّجاجي - ونَسَبَه إلى المازني - في معرض خلافه مع الخليل: «إذا قال العالم المتقدم قولا فسبيلُ مَنْ بَعْدَه أن يحكيه، وإن رأى فيه خَلَلاً أبان عنه ودل على الصواب، ويكون الناظر في ذلك مُخَيَّرًا في اعتقاد أيِّ المذهبيْن بان له فيه الحقّ»(١).

ويقوم منهجي في هذا الكتاب على معالجة الظاهرة اللغوية موضوع البحث كما رويت عن الأقدمين، ثم الإتيان بآراء المحدثين، في المخارج والصفات، مبينا مدى اتفاق الآخِرِين مع الأوَّلِين، ثم ما أصاب الصوت من تطور إن حدث فيه تطور سواء من جهة المخرج أو من جهة الصفات، وذلك في ضوء علم اللغة الحديث.

وللعلم: فمعظم الأصوات التى قمت بمعالجتها في هذا البحث من القبيل الذى أصابه شئ من التطور على مدى تاريخ العربية الطويل، ولذلك فمعظم تلك الأصوات من النوع الذى يحمل مشاكل لغوية تحتاج إلى صبر وأناة في فهمها والكتابة عنها.

ويتكون هذا الكتاب من: مقدمة، فتمهيد، ثم مباحثه العشَرة التى عولجت وَفْقا لترتيبها المخرجي، بادئًا بأبعد الأصوات مخرجًا، ومنتهيا بأدناها إلى خارج الفم، فكان المبحث الأول: هَتَّة الهمزة، بينما كان المبحث الأخير: ظهور الفاء والحاء والثاء.

أما الهدف من وراء هذا البحث فيتمثل في: رصد النطق الحالىّ لبعض الأصوات، ومقارنتِه بما كان عليه لدى الأقدمين، لغرضيْن:

الأول: محاولة العودة بهذا النطق إلى سابق عهده خصوصًا في قراءة القرآن؛ حيث يعد جزءاً من الوحي في تلاوة هذا الذكر الحكيم، مصداقاً لقوله تعالى في (سورة القيامة): ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾(٢).

(١) دراسات في علم أصوات العربية، د. داود عبده (١٢-١٣).

(٢) راجع: عن علم التجويد القرآنى (١٨-٢٢).



الثانى : الوقوف بهذا النطق - على الأقل - عند الحد الذى وصل إليه الآن، وتنبيه من يأتى بعدنا إلى عدم تجاوزه لما هو أبعد من ذلك، حتى لا تزيد الشُقَّة بينه وبين ما كان عليه لدى أسلافنا فيكونَ مَسْخاً مُشَوَّها لجوهر الصوت وذاته، وربما أدى الانحراف بنطقه إلى تغيير معنى الكلمة التى تشتمل عليه؛ إذ يُعَدّ وقتها من قبيل اللّحن الخفيّ، بل الجلى!![1]

أرجو أن يكون هذا الكتاب لبنة في صرح لغتنا الشامخ وبنيانها السامق، لعلى أضيف شيئًا يُذكر فيُشكر في هذا التخصص اليافع «وما نهضة العلم إلا بالتقدم ولو خطوةً إلى الأمام»[2].

نسأل الله التوفيق والسداد، خدمه للغتنا الشريفة وكتابها العظيم.

مدينة الجيزة، في الأحد:
٢٦ من رمضان سنة ١٤٢٣هـ
الأول من ديسمبر سنة ٢٠٠٢م

أ.د/ على سيد أحمد جعفر
الأستاذ في قسم أصول اللغة
كلية اللغة العربية
جامعة الأزهر بالمنوفية

---

(١) راجع: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (٥)، وما بعدها.
(٢) دراسة الصوت اللغوى (ص: ز) من المقدمة.

تمهيد

جاء مِفتاح الحديث عن بعض الظواهر الصوتية الغامضة في كتاب أستاذنا الدكتور/ عبد العزيز علام، الأستاذ في قسم أصول اللغة بكلية اللغة العربية بالقاهرة، حيث يقول: جرى القدماء من علماء الصوتيات والتجويد والقراءات على التقاط الأفكار اللغوية والصوتية ودراستها دراسةً تحليلية، وعلى اكتشاف النظريات والحقائق العلمية[1] (المتعلقة بها)، على أن اللغويين أمثالَ الخليل وسيبويه وابن جني وغيرَهم قد لفتوا (الأنظار) إلى صفات جوهرية لبعض الأصوات غيرَ ما عُرِف عند علماء التجويد.

وقد كان على علماء التجويد والقراءات أن يلتقطوها من اللغويين ويشرحوها ويدرسوها دراسة دقيقة وافية كما صنعوا في معظم قضايا التجويد[2].

أقول: ولكنهم لم يفعلوا لسبب أو لآخر!

ويبدو أن الله تعالى قد ادخر الفتح بها والبحث فيها لمن جاء بعدهم رزقًا أدبيًا وماديًا «فيفتحها على من يشاء من عباده، ولكل وقت قوم، ولكل نشء عِلْم، قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر]»[3].

---

(١) عن علم التجويد القرآني (١٣١).

(٢) السابق (١١٧).

(٣) من كلام للإمام الخطابي في كتابه (غريب الحديث ٥/ ١٠)، بتصرف يسير جدا. =

١- فعن هتَّة الهمزة، يقول الخليل (ت١٧٠هـ): «الهمزة صوت مهتوت في أقصى الحلق، فإذا رُفّه عن الهمزة: صار نَفَسا تَحَوَّل إلى مخرج الهاء»[(١)].

وقال: «وأمّا الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق، مهتوتة مضغوطة، فإذا رفه عنها لانتْ إلى الياء والواو والألف»[(٢)].

وعن الحرف المهتوف والجَرْسيّ - وهو الهمزة - يقول مكى بن أبى طالب: «الحرف المهتوف وهو الهمزة، سميت بذلك لخروجها من الصدر كالتهوُّع، فتحتاج إلى ظهور صوتٍ قوى شديد. يقال: هتف به إذا صَوَّت، وهو في المعنى بمنزلة تسميتهم للهمزة بالجَرْسِيّ؛ لأن الجَرْس: الصوت الشديد . والهتْف: الصوت الشديد، فسميت الهمزة بذيْنك (المهتوف والجرسيّ) لشدة الصوت بها، وقوته»[(٣)].

٢- وعن هتَّة الهاء، أو ههَّتها، يقول الخليل: «ولولا هتة في الهاء - وقال مرةً: هَهَّةٌ -لأشبهت الحاء، لقرب مخرج الهاء من الحاء»[(٤)].

وعن لينها وهشاشتها: نرى الخليل في معرض حديثه عن أصوات الذلاقة (مُرْ بِنَفْلٍ) وأن البناء الرباعي والخماسي العربي إذا خلا من

= وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مقدمة المؤلف (١/٨)، والآية من (سورة الحجر: ٢١).

(١) تهذيب اللغة، ولسان العرب (مادة: هتت).

(٢) العين (١/٥٨).

(٣) الرعاية (١٣٧-١٣٨)، والتهوّع: تكلف إخراج ما في المعدة من أكل وسوائل. راجع: المعجم الوسيط (مادة: هاع).

(٤) العين (١/٦٤).



تلك الأصوات فهو كلمة مُحْدَثَة مُبْتَدَعَة وليست من كلام العرب - نرى الخليل يقرر لنا أن صوت الهاء في مثل (دَهْداق) - مع الدّال والقاف - سبب في استحسان هذا البناء، ويقول: «وإنما استحسنوا الهاء في هذا الضرب لِلِينها وهشاشتها»[١].

٣- وعن طلاقة العين، ونصاعتها، يقول الخليل في معرض التفريق بين اللفظ العربى واللفظ الدخيل أيضا: «وهذه الأحرف (أي: الكلمات التي شذت من أبنية الرباعى غير المضاعف، مثل: العَسْجَد، والقَسْطُوس، والقُداحِس والدُّعْشُوقة، والدَّهْدَعة، والزَّهْزَقَة) قد عَرَيْنَ من الحروف الذُّلْق، كذلك نَزَرْنَ فقَلَلْنَ، ولولا مالزمهن من العين والقاف: ما حسُنَّ على حال، ولكن العين والقاف لا تدخلان بناءً إلا حَسَّنتاه؛ لأنهما أطْلَقُ الحروفِ وأضخمُها جرْسا، فإذا اجتمعا، أو أحدُهما، في بناءٍ: حَسُنَ البناءُ؛ لنصاعتهما»[٢].

٤- وعن بُحَّة الحاء، يقول الخليل مفرِّقًا بين الحاء والعين: «ولولا بُحَّةٌ في الحاء لأشبهت العين؛ لقرب مخرجها من العين»[٣].

وقال ابن جني: «ولولا بحة في الحاء لكانت عينا»[٤].

٥- وعن طلاقة القاف ونصاعتها، يقول الخليل كما سبق: «ولكن العين والقاف لا تدخلان بناء إلاّ حسّنتاه؛ لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جرْسًا، فإذا اجتمعا أو أحدهما في بناء حسُن البناء، لنصاعتهما»[٥].

---

(١) السابق (١/ ٦١).

(٢) نفسه (١/ ٦٠).

(٣) العين (١/ ٦٤).

(٤) سرّ صناعة الإعراب (١/ ٢٤٦).

(٥) العين (١/ ٦٠).

٦- وعن كزازة الطاء وصلابتها، يقول الخليل: «فإن كان البناء (الرّباعى) اسمًا: لزمتْه السين أو الدال - مع لزوم العين أو القاف - لأن الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها»[١].

وإلى مثل ذلك ذهب ابن جني، حيث يقول: «الدّال لانت عن صلابة الطاء»[٢].

٧- وعن ليونة الدّال يقول الخليل كما في النّصّ السّابق: «لأن الدّال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها»[٣].

ويقول ابن جني: «الدال لانت عن صلابة الطاء»[٤].

٨- وعن خفوت التاء، يقول الخليل: «الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها، وارتفعت عن خفوت التاء فحسُنَتْ»[٥].

ويقول ابن جني: «الدّال لانت عن صلابة الطاء، وارتفعت عن خفوت التاء»[٦].

٩- وعن الظاء المُشالة يقول أبو حيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ) : «والظاء المُشَالة ممّا انفردت به العرب دون العجم»[٧].

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) سر صناعة الإعراب (١/ ٦٥).
(٣) العين (١/ ٦٠).
(٤) سر صناعة الإعراب (١/ ٦٥).
(٥) العين (١/ ٦٠).
(٦) سر صناعة الإعراب (١/ ٦٥).
(٧) المعجم العربي بين القديم والحديث (٩٣).

ويقول سبط الناصر الطبلاوى من أصحاب القراءات: قرأ الكسائيّ كلمة (بظنين) من قوله تعالى في (سورة التكوير): ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ بظاء مشالة[1].

١٠- وعن ظهور الفاء والحاء والثاء، يقول مكي بن أبى طالب: «في الفاء والحاء والثاء صفة الظهور الذي هو الوضوح السمعي، وهو من صفات القوة، لكن لم يوضع له اسم في هذا الفنّ»[2]. يقصد: في علم التجويد.

هذا، ويرى أستاذنا الدكتور/ عبد العزيز علام، أن مصطلحات المجموعة (١ - ٨) تدخل ضمن علم الأصوات الفيزيائي أو الانتقالي بالدرجة الأولى، وينبغي أن تُعالَج ضمن معطياته، مستندا في ذلك إلى تقرير للرئيس ابن سينا في هذا الخصوص.

يقول الدكتور علام: «وهذه الصّفات وغيرها هى صفات فيزيائية، أدركتْها الآذان العربية الدقيقة، وتعد فتحًا جديدًا لنوع من الدراسات الصوتية الحديثة، هو: الدراسات الصوتية الفيزيائية، وهذه الإشارات التي قدّمها لنا أسلافنا: ركز عليها الرئيس ابن سينا في رسالته (أسباب حدوث الحروف)، وعقد لها فصلا خاصًا سماه الفصل السادس: في أن هذه الحروف من أيِّ الحركات الغير النطقية تُسمع»[3].

ويفهم من كلام الدكتور علام: أن «أصوات الكلام شأنها في ذلك شأن جميع الأصوات الموجودة في الطبيعة»[4].

---

(١) الشمعة المُضِيَّة بنشر قراءات السبعة المَرْضِيّة (٢/٧٨٧) - رسالة دكتوراه- تحقيقنا، مكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة - قسم الرسائل العلمية (أصول اللغة).

(٢) الرعاية (١٢٧).

(٣) عن علم التجويد القرآني (١١٨).

(٤) دراسة السمع والكلام (٢١٤).

ويعلِّل لهذا التوجُّه في دراسة الأصوات بقوله في موضع لاحق: «لأنّ قوة الصّوت وضعفَه لا تكمن في الجهد العضلي والتحركات التقطيعية (الضَّرَبَات) فقط، فقد يكون الصّوت قويًّا من الناحية الفسيولوجية ويكون ضعيفًا من الناحية الفيزيائية، أو منها ومن الناحية الإدراكية معًا»[(١)].

فـ «الصوت بالمعنى العام - الذي يشمل اللّغوي وغير اللّغوي -هو الأثر السّمعي الذي به ذبذبة مستمرة مطردة، حتى ولو لم يكن مصدره جهازًا صوتيًّا حيًّا»[(٢)].

وبعبارة أخرى: «الصوت الإنساني لا يخرج عن الصوت الطبيعي من حيث إنه أثر سمعي ينشأ من اتصال جسم بآخر في جهاز النطق - الذي يمثل مصدر الصوت - ثم ينتقل في الوسط الناقل للصوت - كما هو في علم الطبيعة - إلى جهاز استقبال الصوت وهو الأذن»[(٣)].

وخلاصة هذا الاتجاه في الدرس الصوتي يتمثل في أن الصوت اللغوي عبارة عن أثر سمعي يصدر من أعضاء النطق[(٤)].

وتلك وجهة نظرٍ سديدةٌ في الدرس الصوتي إلى حد بعيد. «فدراسة الموجة الصوتية وأنواعِها وما يَعْرِض لها من اضمحلال ورنين وتقوية وترشيح: خالصةٌ لعلم الفيزيقا، أَما علم السمع: فيختص بدراسة وظيفة السمع، مستعينا في ذلك بعلمى التشريح ووظائف الأعضاء، وقياس السمع، وعلاج عيوبه، وتحديد منطقة السمع عند الإنسان، ونظريات السمع»[(٥)].

(١) عن علم التجويد القرآني (١٦٦).
(٢) أصوات اللغة العربية، د. عبد الغفار هلال (٣٢: هامش٣).
(٣) السابق (٣٤).
(٤) أصوات اللغة العربية، د. عبد الطيب (٢١).
(٥) دراسة السمع والكلام (١٧).

أمّا إنها وجهة نظر سديدة، إلى حد بعيد: فهذا ما نجده لدى الدكتور علام كما سبق، ولدى غيره من بعض الباحثين، إذ إنه يعطى للمستوى الإدراكي أو السمعي قيمة لا تقل عن قيمة المستوى النطقي أو الإنتاجي.

ولهذه الوجهة جذورها في القديم والحديث على السواء.

ففي القديم: «درس اليونان والرومان الأصوات اللغوية، إلا أن دراستهم تقوم في جملتها على ملاحظة الآثار السمعية التي تتركها الأصوات في الأذن، وهى - بهذا - تختلف عن الآراء الصوتية لقدماء الهنود والعرب الذين أدركوا الأسس الفسيولوجية في تكوين الأصوات»[1].

اللّهم إلاّ ما كان من مكىّ بن أبى طالب (ت: ٤٣٧هـ) في كتابه (الرعاية)، ثم المَرْعَشِيِّ (ساجَقْلِي زَادَهْ) (ت: ١١٤٥هـ) في كتابيه (جُهْد المُقلّ، وبيان جهد المقل)، ثم محمد مكى نصر (ت: ١٣٢٢هـ) في كتابه (نهاية القول المفيد في علم التجويد).

وفي العصر الحديث: يجئ رائد علم اللغة: دى سوسير (ت: ١٩١٣م) ومعه جسبرسن (ت: ١٩١٢م)، للاهتمام بهذا التوجه في دراسة الأصوات اللغوية.

إذ «يُعرف الصوت في علم الطبيعة (الفيزياء) بأنه: الأثر السمعى الذي ينشأ من اتصال جسم بآخر، أو هو الحدثِ الذي يختص السمع بإدراكه، وينشأ من التقاء جِرْمين أحدِهما بالآخر. والمراد بالأثر السمعي أو الحدث الذي يختص السمع بإدراكه: تلك الظاهرة الطبيعة التي هى عبارة عن

(١) التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر (٥).

الذبذبات أو الاهتزازات الصادرة من الجسمين الملتقيين أو تنتقل خلال الوسط الناقل للصوت - كالهواء - في شكل موجات متتابعة، حتى تصل إلى آذان السامعين»[1].

هذا، وموجز نظرية (جسبرسن) في الوضوح السمعي: «أن الأصوات تنتظم في مجموعات يمكن ترتيبها ترتيبا تنازليا - أو تصاعديا إن شئت - من حيث حظِّها من الوضوح السمعى، وفي هذا التصنيف: تحتل الصوائت الواسعة قمة الوضوح، تليها في ذلك: الصوائت الضيقة، ثم الصوامت نصف الرنانة (الانطلاقية غير المُحْتَكَّة)، ثم الانطلاقية الاحتكاكية المجهورة، ثم الانطلاقية الاحتكاكية المهموسة. ثم الانفجارية المجهورة، وتمثل الانفجاريات المهموسة أدنى درجات سلم الوضوح السمعي»[2].

وبتعبير آخر: «تقوم نظرية (جسبرسن) على الأساس الصوتي، كما تقوم على أساس تحديد معنى الإسماع.

إن سماع الصوت يعتمد على عمود من الهواء المتذبذب، وكلما كان هذا العمود أكبر من غيره كان إسماعه أكبر من العمود الأصغر، ولهذا لا يتفق صوتان كلاميان في نفس درجة الإسماع. فمن الممكن أن تُنْظَمَ هذه الدرجاتُ المختلفة من الإسماع في سلسلة، أقلها إسماعا: الأصوات المهموسة، وأكبرها إسماعا: الحركات.

وميز (جسبرسن) بين ثماني درجات الاستماع وهى كالآتي:

١ - الأصوات المهموسة الانفجارية أو الاحتكاكية.

---

(١) أصوات اللغة العربية، د. عبد الطيب.

(٢) دراسة السمع والكلام (٢٦٧).

٢ – الأصوات المجهورة الانفجارية.

٣ – الأصوات المجهورة الاحتكاكية.

٤ – الأصوات المتوسطة، وهى: م، ن، ل.

٥ – الراء.

٦ – الحركات المغلقة: المتوسطة والمفتوحة.

٧ – الضمة، أو الكسرة الممالة.

٨ – الفتحة [(١)].

هذا، وممن سار على طريق (دى سوسير): برتيل مالبرج، إذ نراه يقول: «أما الآن فإن هناك اتجاها إلى النظر في سطور الأحداث المستمرة (المسموعة) أكثرَ من النظر إلى العناصر الفيزيائية المحْضة (كالصور الطَّيْفِيّة) ... وقد أعلن الأصواتيون أنهم يسيرون وراء آذانهم»[(٢)].

وعلى ذلك: فعلم الأصوات النطقي «لا يحاول تصنيف أو دراسة النوع اللانهائي من الأصوات أو المواقعِ التي يمكن النطق من خلالها، ولكن فقط: ما يقع منها وراء عتبة الإدراك، والعددُ الذي يمكن أن يُمَيَّزَ بينه من الناحية الإدراكية محدود، إذا قيس بإمكانية الجهاز النطقي في إنتاج الصوت»[(٣)]، «فالصوت ظاهرة طبيعية، وفي نفس الوقت: ظاهرة

---

(١) المدخل إلى علم الأصوات (٤٤-٤٥).
وراجع المصدر نفسه (٢٣-٢٤).
(٢) علم الأصوات (١٢٩ – ١٣١).
(٣) دراسة الصوت اللغوي (٧٧).

سيكولوجية»[١]، «ومعطيات علم الأصوات عبارة عن مجموعة من الملاحظات المسجلة التي تقرر أن اللغة المدونة تشتمل على عدد معين من الأصوات، لكل منها وصفُه العضوي والسمعي»[٢]، «والباحث في أصوات اللغة: يلاحظ ما يقوم به الجهاز النطقي لدى المتكلم من حركات، وما يصاحب هذه الحركات من آثار سمعية، فيسجل ذلك ويكتفي به»[٣]، «وحاسة السمع تدرك الآثار السمعية المصاحبة للحركات العضوية لدى المتكلم، فتميز انحباس الهواء وتسريحه بعد انحباسه، واحتكاكَه بأعضاء الجهاز النطقي بسبب تضييق المجرى عند نقطة معينة من هذا الجهاز، وحريةَ مرور الهواء عند عدم الحبس والتضييق، واختلافَ قيمة الصوت عند اختلاف شكل حجرة الرنين، وكونَ النطق مجهورا حينا ومهموسا حينا آخر، وهلم جرّا»[٤].

يقول الدكتور: محمود السعران عن الاعتبارات السمعية في تقسيم الأصوات إلى صوائت (حركات) وصوامت (سواكن): «قد يتضح من تعريفنا للصوائت والصوامت كذلك أنه مبنى على أساس فسيولوجى صارم ليس غير، ولكن هذا ليس صحيحًا. فالتقسيم إلى صوائت وصوامت مبنى في الواقع على اعتبارات سمعية، هي الاختلاف بين الأصوات في وضوحها في السّمع. فقد لوحظ أن بعض الأصوات أشدّ وضوحًا في السّمع من بعض، بمعنى: أنها تُسمع على مسافة أبعدَ عندما تُنطق بنفس الطول والارتكاز والدرجة.

(١) أصوات اللغة العربية، د. هلال (٣٥)، وهامشها.
(٢) اللغة العربية .. معناها ومبناها (٦٧).
(٣) السابق (٤٧).
(٤) نفسه (٤٨).

والملاحظ أن الأصوات التي توسم بأنها صوائت أشد وضوحا في السمع من غيرها من الأصوات الكلامية عندما تُنطق بالطريقة العادية، وهذا هو السبب الذي من أجله اعتُبِرَتْ هذه الأصواتُ طبقة من الطبقتين الرئيسيتين[1].

هذا، ولا يعني اهتمامُنا بالمستوى الإدراكي أو السمعي - كما هو اتجاه بعض المحدثين الآن في مجال الأصوات اللغوية - إهمالَ أو تناسَي المستوى النطقي أو الإنتاجي، ولا المستوى الطيفي أو الأكوستيكي، إذ إن الاهتمام بالجانب السمعي ينصبُّ على معرفة الصفات الصوتية الملازمة للأصوات اللغوية؛ بينما ينصبّ الاهتمام بالجانب النطقي على معرفة مخارج تلك الأصوات.

يقول محمد مكي نصر في هذا الخصوص: «المعوَّل عليه في الحرف: معرفةُ مخرجه لا صفتِه، لأن معرفة المخرج بمنزلة الوزن والمقدار، ومعرفة الصفة بمنزلة المحكّ والمعيار»[2]، «ومن هنا جاز اشتقاقهم ألقابَ الحروف من مخارجها، فكل مجموعة من الحروف تشترك في لقب لتقاربها في المخارج»[3].

حتى إن بعض الدراسين المُحْدَثين قد نقض نظرية الوضوح السمعي السابقةَ لدى "دى سوسير وجسبرسن"، فقال: «ويبدو أن هذه النظرية تكابد بدورها بعض جوانب القصور، فالوضوح السمعي الذي تقوم على

(١) علم اللغة .. مقدمة للقارئ العربي (١٥٠).
(٢) نهاية القول المقيد (٣٧).
وعبارة أن معرفة المخرج .. إلخ منقولة عن المُلاّ علي القاري، في كتابه: المِنَح الفكرية .. شرح المقدمة الجزرية (١٠).
(٣) مناهج البحث في اللغة (١٢٣).

أساسه ذو مفهوم غامض»[(١)]، «هذا بالإضافة إلى وجود صعوبات كثيرة تعترض القراءة الدقيقة لرسوم الكلام التي تخرجها لنا أجهزة التصوير الطيفي "الأكوستيكي"»[(٢)]، «وقد أشار "إرنست بولجرام" في كتابه (مدخل إلى التصوير الطيفي للكلام) إلى وجود شواهد تدل على إمكان الاعتماد على التصوير الطيفي للكلمة للوصول إلى عدد المقاطع التي تتكون منها. وقريب من هذه النتيجة: ما توصلت إليه الباحثة "إسكالينشكوفا" في بحث نشرت نتائجه عام١٩٥٨م. غير أن هذه النتائج ما تزال في حاجة إلى تجارب أخرى لتأكيدها أو نفيها، فالصور الطيفية العاديّة لم يُلاحظ فيها وجود هذا المعيار باطراد»[(٣)].

بل إن «فكرة قوة الأصوات وضعفِها التي اكتشفها القدماء وسبقوا فيها غيرهم من علماء الصوتيات من الأمم الأخرى -على حد علمنا- تقوم على أساس فسيولوجي، يتمثل في وجود تحرك تقطيعي أو جهد عضلي مبذول زيادةً علي ما تتطلبه عملية الغلق وعملية الفك للصوت اللغوي»[(٤)]، «والوضوح السمعي العالي في الحركات راجع إلي التميز الفيزيائي، من كثرة الذبذبات والمكوّنات الذي يرجع - هو الآخر - إلى التميز الفسيولوجي، وهو اتساع المخرج أو اتساع الهواء عند النطق بها»[(٥)].

أضف إلى ذلك: أن «درجة الوضوح السمعي The sonority تَبَعٌ لقوة الخفقة الصدرية التي تصحب كل مقطع، ويسمى المقطع الذي

(١) السابق (٢٧١).

(٢) دراسة السمع والكلام (٢٥٦).

(٣) السابق (٢٧٢-٢٧٣).

(٤) عن علم التجويد القرآني (١٤٦).

(٥) السابق (١١٤).



يكون مصحوبا بأقوى خفقة صدرية: المقطع المنبور، كما تسمى هذه الظاهرة بالنبر»[1].

ويقول الدكتور: أحمد مختار عمر في هذا المضمار كذلك: «أما جهاز رسم الأطياف فيعطي تسجيلات بصرية ثابتة لتتابع أصوات الحدث الكلامي في شكل خطوط تتعرج مختلفةِ التركيز، تبعًا لقوة الذبذبات الصوتية الموجَّهة»[2].

وتتأسس الذبذبات الصوتية - بالطبع - على ما «تقوم به عضلات البطن، بتحديد وضع الضلوع وجدران البطن، بحيث يمكن لحركات ضغط النفَس أن تحدث تأثيرها الصحيح، وتقوم بعض العضلات الصدرية بإصدار حركات أكثر سرعةً على هيئة خفقات تسمى بخفْقات الصدر، يرجَّح أنها هي التي توفر ضغط الهواء اللازم لتشغيل الوترين الصوتيين عند إصدار نغّمة الحنجرة»[3]. وعلى ذلك: «يكون انقسام المجموعة النفسية الواحدة تبعًا لخفقات الصدر أثناء الزفير هو الوجه النطقي للعملية اللغوية التي نسميها بالتقسيم المقطعي للكلام»[4].

هذا، وقد «ثبت عن طريق التحليل الأكوستيكي للكلام أن الاختلافات الصوتية التي يمكن إدراكها تعود إلى:

أ - درجة الصوت المتكوِّن في الحنجرة بالنسبة للأصوات المجهورة.

ب - اختلاف الموجات الصوتية تبعًا لاختلاف مكان النطق، ولاختلاف الشكل الكلي لتجويف ما فوق الحنجرة أثناء نطق الأصوات،

---

(١) دراسة السمع والكلام (٢٦٧).

(٢) دراسة الصوت اللغوي (٣٥).

(٣) دراسة السمع والكلام (٢٦٩-٢٧٠).

(٤) السابق (٢٧٠).

وتسمى الترددات فوقَ الحنجرية - عادة - باسم: الملازِمة أو المتأصِّلة، في مقابل الترددات في الحنجرة التي تتنوع تبعًا لسرعة ذبذبة الأوتار الصوتية، وتُنْتَج درجاتُ الصوت المختلفةُ - بغضّ النظر عن نوعية الترددات - فوق الحنجرة»[1].

ويقول الدكتور عبد الغفار هلال عن قوة الصوت التي تكون في قوة مصدره: «يعبر العلماء عن ذلك بقولهم: أن تكون الاهتزازة واسعة، وذلك يتأتى بقوة الطَّرق أو الاصطدام أو الاحتكاك.

فالمعروف أن طَرق الجسم مثلا يؤدي إلى اهتزازه، والصوت كما قلنا: مجموعة من الهزّات التي يحملها الهواء إلى السامع، وكلما كان الطرق شديدًا كانت الاهتزازات واسعة، والعكس بالعكس، إذ يكون وضع الذبذبات الصوتية علي الأذن قويا في الحالة الأولى فنسمع الصوت قويًا، ويكون تأثيره على الأذن ضعيفًا في الحالة الثانية.

وعلى هذا: يترتب ارتفاع الصوت مع سَعَة الاهتزازة، وانخفاضُه مع ضعفها.

ويمكن أن نلمس ذلك بطَرق شوكة رنّانة طرقًا قويًا أو طرقها طرقًا ضعيفًا، حيث يعلو الصوت في الأولى، ويخفِتُ في الثانية.

ومثل ذلك يتأتي للصوت الإنساني»[2].

ويقول الدكتور علام، عن الأساس الإدراكي بوصفه أحدَ الفوارق الجَوْهرية بين نوعي الأصوات الرئيسية: الأصوات الصامتة، والأصوات

---

(١) دراسة الصوت اللغوي (١٨-١٩).

(٢) أصوات اللغة العربية (٣٧).

الصائتة أو الحركات: «وهذا الوضوح السمعي العالي في الحركات: راجع إلى التميز الفيزيائي، من كثرة الذبذبات والمكونات، الذي يرجع -هو الآخر- إلى التميُّز الفسيولوجي وهو اتساع المخرج، أو اتساع ممر الهواء عند النطق بها»(١).

ويقول في موضع آخر: «فالصوت الذي يتطلب في نطقه تحركات تقطيعيةً أكثر وجهدًا عضليًا أكبر هو الصوت القوي، والصوت الذي يتطلب في نطقه تحركات تقطيعيةً أقل وجهدًا عضليًا أصغر هو الصوت الضعيف»(٢).

أضف إلى كل ما سبق: أن «الظروف العملية لا تُمَكِّن في بلادنا وجامعاتنا من القيام بدراسة فيزيائية وإدراكية على الوجه العملي الدقيق، بحيث تعتمد على أجهزة التحليل ووسائل القياس من أجل الكشف عن الصوت القوى والصوت الضعيف من الناحيتين: الفيزيائية والإدراكية»(٣).

يقول الدكتور محمود السعران: «أما المسألة الثالثة وهي تلقي أذن السامع للأصوات: فلا تزال تنتظر الإفاضة في البحث»(٤).

ويقلل الدكتور السعران من أهمية الدراسة السمعية للكلام وعدم دقتها علميا ومدى فائدتها على وجه العموم، فيقول: «من الممكن أن نصنف الأصوات حسب تأثيرها السمعي أي حسب خواصها السمعية - فنصنفها حسب ارتفاعها أو انخفاضها، أو حسب صفاتها الموسيقية. ووصفُ

(١) عن علم التجويد القرآني (١١٤).
(٢) السابق (١٦٦).
(٣) السابق.
(٤) علم اللغة .. مقدمة للقارئ العربي (١٠٠).

التأثير السمعي للأصوات ينتهي بنا إلى أن نطلق عليها أوصافا، مثل: ليّنة، وخشنة، وعذْبة ... الخ. ولكن هذه الألفاظ لا تتصف بالدقة العلمية الواجبة في مثل هذه الدراسة، ولن تفيدنا كثيرا في دراستنا اللغوية»[(١)] .

ويقول الدكتور/عيد الطيب: «أما الوسط الناقل- وهو الهواء - فإن الباحث اللغوي لا يتناوله إلا من حيث كونه يتشكل ويتموّج بصورة الذبذبات الصادرة عن المتكلم، دون أن يتعدى ذلك إلي دراسة ذلك الوسط فيزيائيًا، فذلك خارج عن نطاق بحثه، وهو ألصق بالدرس الفيزيائي منه بالدرس اللغوي. كذلك مرحلة السمع واستقبالِ الصوت: أدخلُ في علم وظائف الأعضاء منها بالدرس اللغوي»[(٢)].

ومن هنا: «تشكك بعضْهم في قيمة ما يسمى بعلم الأصوات السمعي، نظرًا لأنه لم يحقق حتى الآن تقدمًا كبيرًا»[(٣)].

ونخلص من كل ما سبق إلي أن الأصل الأصيل في الدرس الصوتي يتمثل في الجانب النطقي.

إذْ «يتميز الصوت بنطقٍ مقارِبٍ لغيره عن طريق عضو أو أعضاء بطريقة تعوق تيار الهواء، أو من ناحية أخرى: تسبب احتكاكًا مسموعًا»[(٤)]. «كما يرتبط الوضوح السمعي بالجهر نطقًا، وبالمكونات الفيزيائية العالية أيضًا»[(٥)]، «وصار الأمر في الدرس اللغوي مقصورًا على مرحلة إصدار

(١) علم اللغة .. مقدمة للقارئ العربي (١٤٣).
(٢) أصوات اللغة العربية (١٧).
(٣) دراسة الصوت اللغوي (٢٧).
(٤) دراسة الصوت اللغوي (١٣).
(٥) انظر: عن علم التجويد القرآني (١٤٣).

الصوت والنطق به من جانب المتكلم، وتتمثل هذه المرحلة في حركات أعضاء النطق. وهذه المرحلة هي التي ينبغي أن تكون موضوع البحث اللغوي عمومًا، والبحث الصوتي على وجه الخصوص، فيُبْحث عن كيفية إصدار الصوت اللغوي وتكوينه، والمكان الذي يخرج منه الصوت، والصفاتِ التي يتصف بها، منظورًا إلي ممر الهواء معه أو مساره، أو تأثير الهواء في الوترين الصوتيين، أو شكل اللسان ومستواه وحركته أثناء النطق، ومثل تلك المباحث الصوتية إنما يتناولها علم الصوت النطقي»[1].

والأَوْلَى من ذلك كله أن يقال: إنه لا ينبغي في دراسة الأصوات اللغوية إهمال جانب من جوانبها الثلاثة: النطقي والانتقالي والسمعي؛ إذ إن عملية التصويت عملية معقدة للغاية، تتضافر فيها أجزاء متعددة من جهاز النطق الإنساني، بل ونفسياتُ المتكلم، لكي تتم بالصورة المطلوبة، وذلك بالإضافة إلى ملائمة الوسط الناقل- وهو الهواء في الغالب - ثم حال الملتقى أو السامع في نهاية المطاف.

«فللصوت ثلاثة أسس تقوم دراسته عليها، وهي: مصدر الصوت، والوسط الناقل، وجهاز استقبال هذا الصوت»[2]، «ولكي يكون الحكم على الصوت دقيقًا، وتكونَ النتيجة سليمةً ودقيقة: لا بد من الاعتماد في هذه الدراسة - بجانب الأساس الفسيولوجي- على الأساس الفيزيائي، وعلى الأساس الإدراكي، وذلك لقوة الترابط بين الأسس الثلاثة أو الأبعاد الثلاثة: الفسيولوجي، والفيزيائي، والإدراكي، ولأن هذه الأبعاد الثلاثة تمثل مراحل عملية التخاطب كاملة. فالأساس الفسيولوجي يمثل

---

(١) أصوات اللغة العربية، د. عيد الطيب (١٧).

(٢) أصوات اللغة العربية، د. هلال (٢٨).

مرحلة إنتاج الكلام (عملية النطـق)، والأسـاس الفيزيـائي يمثـل مرحلـة انتقال الصوت (عملية الانتقال) والأساس الإدراكي يمثل مرحلة اسـتقبال الصوت (عملية السـمع والإدراك)، وهـذا أمـرّ لابـدّ منـه لدراسـة هـذه القضية»[1].

«ومعنى هذا: أن التلازم قائم بين هذه الجوانب الثلاثة: الفسـيولوجي، والفيزيـائي، والإدراكـي»[2]، «ومـن عرضـنا لطريقـة حـدوث الصـوت واستقباله نتأكد أن دارس علم الأصوات اللغوية بحاجة ملحة إلى شئ من علم الطبيعة لمعرفة الأجسام المُصْدِرة للصوت، والأوساط المُوَصِّلة لـه كالهواء، كما أنه بحاجة ملحة إلى شئ من علم التشريح»[3]، «ولا يخفـي علينا أن هذا الواقع الفيزيائي والواقع الإدراكي يرتبطان ارتباطا وثيقا بهـذا الواقع الفسيولوجي»[4]. «والتمييـز بـين الصـوامت والصـوائت ذو أهميـة نظرية وعملية كبيرة لا في الجانب الصوتي من اللغة فحسب، بل في كافة المستويات التحليلية، ويقوم هذا التمييز على أسـس: نطقيـة، وفيزيقيـة، ووظيفية»[5].

ولتطبيق ذلك عمليًا: نظر القدماء إلى صفتي الذلاقة والإصمات نظـرة فسيولوجية، فجعلوا الذلاقة من صفات الضعف، والإصمات من صفات القوة؛ لأن الذلاقة أقل جهدًا من الإصمات، حيـث إن أصـوات الذلاقـة تُنْطق بيسر وسهولة، على حين أن أصوات الإصمات أقل يسرًا وسهولة، وأصعب نسبيا.

---

(١) عن علم التجويد القرآني (١١٨).
وراجع- كذلك - المصدر المذكور (١٦٥-١٦٦).
(٢) عن علم التجويد القرآني (١٦٦).
(٣) أصوات اللغة العربية، د. هلال (٣٤).
(٤) عن علم التجويد القرآني (١٣٩).
(٥) دراسة السمع والكلام (١٨٨).

ومن هنا: «كانت أصوات الإصمات - التي هي أصعب في النطق نسبيا - أقوى، وكانت أصوات الذلاقة - التي هي أخفّ وأيسر- أضعف»[1].

«وهكذا يبني القدماء فكرة القوة والضعف في الأصوات على أساس فسيولوجي، ما عدا صفة (الخفاء) وصفة (الغُنَّة)، فإنها - وإن كان سببها فسيولوجيا - إلا أن إحساسها وتذوقها يتم إدراكيا في المقام الأول»[2].

«فأي تحرك تقطيعي أو جهدٍ عضلي مبذول زيادةً عن (الغلْق والفك)، والتحركُ الأمامي والتحرك الخلفي لنتاج أي صوت لغوي: يعده القدماء سببا من أسباب قوة الصوت وصفة من صفات القوة»[3]. «والتحرك التقطيعي هو الضرب بأعضاء النطق»[4].

بل إن الأمر ليتطلب وقوف الباحث في علم الأصوات على جملة من العلوم الأخرى غير اللغوية، وإن كانت ثانوية عند النظرة الأولى.

وبالجملة: «فيحتاج الباحث في الأصوات إلى أن يقف - بوجه عام - على معرفة أعضاء النطق، من حيث طبيعتُها، وخواصها، والأسباب التي تجعلها تؤدي وظائفها بطريقة سليمة، والأمور التي تعوقها عن أداء وظائفها بطريقة طبيعية.

وإلى جانب ذلك: هناك أمور أخرى ينبغي لدارس الأصوات أن يحيط بها.

---

(١) دراسة السمع والكلام (١٣١-١٣٢).
وراجع - كذلك - المصدر المذكور (١٢٧).

(٢) السابق (١٤٠).

(٣) نفسه (١٤١).

(٤) نفسه (١٤٠).

فعليه أن يعرف شيئا من علوم كثيرة كعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الجغرافيا، وعلم التاريخ، فلذلك - بلا ريب - أثرْه على الأصوات الإنسانية.

فللإنسان مجالات أربعة يتصل بها هي: المجال العضوي، والمجال الفيزيقي، والمجال النفسي، والمجال الروحي، واللغة تضم هذه جميعًا، على أن تتعاون فيما بينها»[(١)].

(١) أصوات اللغة العربية، د. هلال (٣٥).

المصطلحات الصوتية الغامضة

أولاً: هَتَّة الهمزة

وَصَفَ الخليل قديما الهمزة بأنها: صوت مهتوت.

قال الخليل: "الهمزة صوت مهتوت، في أقصى الحلق، فإذا رُفِّهَ عن الهمزة: صار نفَسًا تَحَوَّلَ إلى مخرج الهاء".

وقال: "وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق: مهتوتة، مضغوطة، فإذا رُفِّه عنها: لانتْ إلى الياء والواو والألف".

مخرج الهمزة

مخرج الهمزة قديما: أقصى الحلق.

ذهب إلي ذلك كل من الخليل كما مر، وسيبويه، وابن جني.

أما قول الخليل عنها: "إنها تخرج من الجوف، فلا تقع في مَدْرَجَة من مدراج اللسان ولا من مدارج الحلق ولا من مدارج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف"..

فيمكن أن يُفَسَّر جزؤه الأول (إنها تخرج من الجوف) بأن المقصود: "إنها تحدث في أعمق موضع من مخارج الأصوات، وهذا هو عين ما قصده سيبويه بكونها في الصدر، وبأنها صوت الصدر".

كما يمكن تفسير جزئه الثاني (إنها هوائية) بأنه "يقصد به: أنه ليس لها موضع آخر في مجرى الصوت يُسَدُّ أو يُضَيَّق لها بل إنها بعد حدوثها في المزمار يجري صوتها في هواء مجرى الصوت، والألف مِثْلُها في ذلك، أما الواو والياء فهما أقل هوائية، لأنك تضم شفتيك بالواو، وترفع لسانك قِبَلَ الحنك في الياء".

"فالملاحظة التي تُعَدُّ للخليل، وينفرد بها، بل ويسبق الدراسات الصوتية الحديثة في تحديد مخرج الهمزة، هي: أنه نفي أن تكون الهمزة في مدرجة من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق، ولا من مدارج اللهاة، وبذلك استبعدها عن مدارج الحلق بالذات، على حين جميع العلماء: نحويين وصوتيين وبلاغيين وعلماء تجويد وقراءات قد حددوا



أن الهمزة تخرج من الحلق. وجاءت الدراسات الصوتية المعملية وأثبتت أن الهمزة صوت حنجري وأنها تخرج من الحنجرة، وذلك عن طريق التقاء الوترين الصوتيين التقاء محكما لا يُسمح معه للهواء بالمرور، وبعد انتهاء فترة الغلق وتزايد الضغط تحت الحنجرة: يحدث الانفجار بابتعاد الوترين الصوتيين أحدِهما عن الآخر فيُسمع مع ذلك صوتُ الهمزة.

وهنا يمكن التوفيق بين رأي الخليل وما حددتْه الدراسات الصوتية الحديثة بأن ما سماه الخليل بالجَوْف: يقابل الحنجرة، لكنه لم يكتشف الحنجرة، وقد تأكد لديه أن الهمزة ليست من الحلق وإنما هي دونه، والذي دون الحلق: الحنجرة، لكنه سماها الجوف، أو عبّر عنه بالجوف"، "وليس الجوف من المخارج، وإنما تبدأ المخارج في جهاز النطق من الحنجرة، ثم الحلق، ثم اللهاة، ثم اللسان .. الخ" .

أما مخرج الهمزة حديثا فهو: مما بين الوترين الصوتيين في الحنجرة.

وبذلك تكون عبارتهم صريحة لا تحتاج إلى تأويل.

وأما كيفية ذلك فتتمثل في: "التقاء الغشاءين الصوتيين التقاء محكما يسُدُّ سبيل النفَس المندفع من الرئة لأدائها، فهي حُبْسة مِزْمارية، ويتميز صوتها بانقطاعِ زمير حركةِ ما قبلها وابتداءِ حركتها هي" .

فالخلاصة في هذه الجزئية.. جزئية مخرج الهمزة قديما وحديثا: "أن اللغة العربية أكمل اللغات في التمييز بين مخرج الحنجرة، ومخرج الحلق.

فالأصوات التي تنتج من الحنجرة هي: الهمزة والهاء، وأما الأصوات التي تخرج من الحلق فهي: العين والحاء، والغين والخاء" .

صفات الهمزة

أما صفات الهمزة التي تميزها عن غيرها صوتيا لدى القدماء فهي: الجهر، والشدة، والاستفال، والانفتاح، والإصمات.

ولا تختلف الهمزة الحديثة عن الهمزة القديمة (الفصيحة) إلا في صفة واحدة، هي: الهمس في مقابل الجهر.

"فيَعُدُّ القدماء الهمزة من الحروف المجهورة، فقد جمعوا المهموسة في قولهم: سكت فحثه شخص، وليست الهمزة منها، وابن جني يصرح بأن باقي الحروف - وهي تسعة عشر حرفا- مجهورة. وأكثر من ذلك وضوحا لرأي ابن جني: أنه يقول في باب الهمزة: اعلم أن الهمزة حرف مجهور، وعدها سيبويه في المجهورات التسعة عشر" .

"أما المحدثون فقالوا إنها غير مجهورة، ولكنهم اختلفوا فيما بينهم في وصفها.

فذهب بعضهم إلى أنها مهموسة، ومن هؤلاء: الدكتور تمام حسان، والدكتور عبد الرحمن أيوب.

وذهب بعضهم الآخر إلى أنها صوت لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس، ومن هؤلاء: دانيال جونز، وتابعه على ذلك: الدكتور إبراهيم أنيس ...

ويبدو أن هذا الرأي سديد، لأن أحوال الهواء مختلفة. فهو إذا انطلق: إما أن يؤثر في الأوتار الصوتية فيحدث الجهر، أو لا يؤثر فيها فيحدث

الهمس، واحتباس الهواء في الحنجرة حال ثالثة مع الهمزة بالذات، فالأَوْلَى ملاحظتها فيها، خاصة أننا في مجال البحث العلمي الدقيق".

وفي المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة نجد في بداية حديثه عن هذا الصوت: "الهمزة: صوت شديد، مخرجه من الحنجرة، ولا يوصف بالجهر أو الهمس". وأعتقد أن كاتب هذه المادة ومحررَها هو الدكتور إبراهيم أنيس، عليه رحمة الله.

هذا، وتعد الهمزة من الأصوات التي تطورت على ألسنة العرب قديما وحديثا على السواء، والسبب في ذلك: صعوبة نطقها على النحو الذي وصفت به في كتب التراث.

أما مظاهر تطورها فتتمثل في عدة أمور، هي: تخفيفها بين، وإبدالها حرفا من جنس حركة ما قبلها، وإسقاطها بالكلية.

ويوضح الدكتور/ جبل ذلك فسيولوجيا، بقوله: "عرفنا أن الهمزة حرف شَدِيد يمنع النفَس أن يجري، وهذا يُستثقل؛ لأن الأصل هو انطلاق النفس واسترساله دخولا وخروجا. وعلى ذلك فإن أحصر الحروف للنَّفَس أشدُّها ثقلا، وإنما يتفاوت ثقل الحصر بقرب موضعه من موضع انطلاق النفس، فكلما قرب موضع حصر النفَس إلى الرئتين كان ذلك أجهد وأشق كحبس الماء المتدفق بعد مَفْجَرِه بقليل. وكذلك يتفاوت ثقل الحصر بحالة اندفاع الهواء عند نقطة الحصر. فإن صادف قبلها مُتَّسَعا كان اندفاعه عندها أهدأ، ومن هنا فحبس الهواء عند الوترين الصوتين في نطق الهمزة أجهد وأشق منه عند الشفتين في نطق الباء مثلا، لقرب نقطة الحصر (الأغشية الصوتية تبعد عن الرئتين بنحو ١٥ سم،

وبُعد الشفتين عن الرئتين حوالي ٢٥سم) كما أن الهواء لا يمر بمتسعات قبل نطق الهمزة، في حين يمر بمتسعات الحلق والتجويف الفموي، بل وقد يكون مدخل التجويف الأنفي أيضا متاحا في حالة الحروف الأخرى، ولعل ذلك يوضح سبب ثقل الهمزة ثقلا دعا العرب إلى تخفيفها بشتى الصور، ولعله كذلك يوضح قولة سيبويه، بعد ما ساق طائفة من صور حذف الهمزة تخفيفا: واعلم أن الهمزة إنما فعَل بها هذا مَنْ لم يحققْها لأنه بَعُدَ مخرجُها، ولأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجا، فثقل عليهم ذلك (يعني تحقيق الهمزة)؛ لأنه كالتهوّع".



هتَّة الهمزة

أما معني هتَة الهمزة، فيتضح من استعراض ما قالته معاجمنا اللغوية في مادة (هتّ)، إذْ يقول المعجم الوسيط في هذه المادة: هَتَّ الماءُ ونحوُه يهُتُّ هتًّا وهتيتا: سُمِع له صوتٌ عند صبِّه. وهت في كلامه: أسرع. وهَتَّ الشيءَ يهُتُّه هتًّا: عَصَرَه لِيُصَوِّت. وهت الهمزةَ: نطق بها واضحة. والهتُّ: الصوت. يقال: سمعت هتَّ قدميْه، أي صوت وَقْعهما على الأرض.

وعلى ذلك فتفيد هذه المادة اللغوية ومشتقاتها بوضوح أن الهتّ يعني عصر الشيء، وفي مجال الأصوات: تضييق مخرجه بشدة، فينتج من ذلك عَصْر الصوت ودعكه بين نقطتي خروجه. وهذا هو ما يحدث مع الهمزة المحققة.. فقد كان نطقها قديما يتم بحصر هوائها المصاحب لها بين الوترين الصوتيين ثم تسريحه فجأة- مع ذبذبتهما-فيخرج والحالة هذه محملا بذبذبات الأوتار الصوتية، ليتحقق فيه أمران: غلق المخرج ثم فتحه بسرعة فيشتد الصوت، مع ذبذبة الوترين الصوتيين فيكون مجهورا، فيعطي سماعيا ما يشبه القلقلة. وهذا معنى قول الخليل وسيبويه: لأنه كالتهوع، وقول الخليل مرة أخرى: إنها كالسَّعْلَة.

يقول الدكتور/جبل في ذلك: "والْهَتُّ هو الضغط والدفع الشديد للشيء حتى يَتَسَيَّبَ أو يَتَهَيَّر. والمقصود هنا: أن الهمزة كانت تخرج بعصر وضغط في مخرجها، كما قال الخليل نفسه: مهتوتة مضغوطة.

ويتمثل الضغط والعصر في إغلاق الأغشية الصوتية إغلاقا تاما في ذلك الجزء العميق من مجرى النفس عند أول نقطةِ تَوَلَّدِ الصوت،

وبذلك يحتبس الهواء المندفع من الرئة احتباسا تاما يشعر الإنسان بضـغطه وعصره. وتسميتها همزة: تعبير آخر عن هذا، لأن الهمز معناه الغمز بضـغطٍ وحدةَّ. يقال: هَمَزَ الجَوْزةَ بيده. والهمزة: عصا في رأسها حديدة يُـنْخَس بهـا الحمار ليسرع، يقال: همز الدابة: غمزها. وقال رؤبـة *ومَـنْ هَمَزْنـا رأسه تهشما* ولذلك المعنى نفسه: وصفها سيبويه بأنها نبرة في الصدر".

وقال في موضع آخـر: "فوصـف الخليـل الهمـزةَ بأنهـا مهتوتـة يعـني الضغط والعصر في إخراجها، إلا أنه يُرَفَّهُ عنها فتخفـف أو تبـدل ألفـا أو هاء".

والخلاصة: أن هتة الهمزة تعنى احتكاك هواء التـنفس المصـاحبِ لهـا احتكاكا شديدًا ، نتيجة انقباض جوانب أقصى الحلق من جرّاء ضيق تلك المنطقة لدرجة الغلق التام أو الانسداد الكامل.

هـذا، وقـد وصـف صـوت الهمـزة بوصـفين آخـرين همـا: الحـرف المهتـوف، والحـرف الجَرْسِـيّ. وإذا كـان وصـفها بـالحرف المهتـوت - بالتاء - وصفا لغويـا: فـإن وصـفها بـالمهتوف – بالفـاء - والجَرْسّـى: وصفان تجويديان.

يقول مكي بن أبي طالـب: "الحـرف المهتـوف وهـو الهمـزة. سميـت بذلك لخروجها من الصدر كالتهوُّع فتحتاج إلي ظهورِ صوتٍ قوي شديد. والهتف: الصوت الشـديد، يقـال: هتـف إذا صـوّت، وهـو في المعـنى بمنزلـة تسـميتهم للـهمزة بالجرسـى؛ لأن الجَـرْس: الصـوت الشـديد، والهتف الصوت الشديد، فسميت الهمزة بـذينك (المهتـوف والجرسـي) لشدة الصوت بها وقوته".

أما مصطلح الهتف الذي وصفت به الهمزة، فيتضح معناه أكثرَ من خلال الرجوع إلى معاجمنا اللغوية، حيث يقول المعجم الوسيط في مادة (هتف):

يقال: هتف يهتِف هتْفا وهُتافا: صاح مادًّا صوتَه. ومنه: هتف به: صاح به ودعاه. وجعل يهتف بربه: يدعوه ويناشده. وهتف فلانا، وهتف به: مدحه، فهو مهتوف به. كما يقال: فلانة يُهْتَفُ بها: تُذْكَر بالجمال.

والهاتف: الصوت يُسمع دون أن يُرَى شخصُ الصائح. والهاتف: التليفون أومَنْ يتكلم به.

والهُتاف: الصوت العالي يُرفع تمجيدًا أو استنكارا.

ويقال: فرس هَتَّافة: مُرِنَّة مُصَوِّتَة. والهَتْفَي من الِعيس: المُرِنَّة المُصَوِّتة كذلك .

ويقال: ريح هَتُوف: حنَّانة، وسحابة هتوف: راعدة"

وبهذا يظهر أن (الهتف) مصطلح تجويدى يقصد به وضوح الصوت وظهوره بصورة شديدة.

كما توصف الهمزة كذلك بأنها الصوت الْجَرْسِيّ.

والجرْس في اللغة: الصوت نفسه أو ما قَوِيَ منه. وجَرْسُ الحرفِ: نغْمته.

يقول معجمنا الوسيط في هذه المادة اللغوية:

جَرَسَ الطائرُ يَجْرِسُ جَرْسا: صَوَّتَ. وجَرَسَ الكلامَ: نَغَمَ به وتكلم.

وأجرسَ: صوَّتَ: وأجرسَ الطائرُ: سُمِع صوته. وأجرس الجرسَ، وبه: حَرَّكَهُ فصَوَّتَ، وجَرَّسَ بالقوم: سَمَّعَ بهم و نَدَّد. وتجرس بشيء: تكلم به وتنَغَّم.

وجَرْسُ الحرف : نغمته. تقول : سمعُت جَرسَ الطير، إذا سمعتَ صوت مناقيرها على شئ تأكله.

والجَرَس: الحركة والصوت، وأداة من نحاس أو نحوه مجوفةّ إذا حُرِّكَتْ تتذبذب فيها قطعة صغيرة صلبة فيسمع صوتها. والجمع أجراس.

والجُرْسة: التسميع والتنديد بمن اقترف ما ينافي المروءة.

والْجَرِسَةُ: أرض جرسة: تُصَوِّتُ عند تحريكها وتقليبها".

وهكذا نرى أن مادة (جرس) وما اشتق منها تدور حول معنى واحد تقريبا، هو: القوة أو الأثر السمعي الواضح لهذه القوة.

والحرف الجرسي عند علماء التجويد والقراءات، هو: الهمزة وحدها.

والسبب في ذلك معروف لغويا، ويتمثل في: أن مخرج هذا الصوت إنما هو الحنجرة نفسها بين الوترين الصوتيين، "فعندما يصدر الأمر من المخ للحجاب الحاجز والقفص الصدري بالضغط على الرئتين: تخرج كُميةٌ من الهواء تمر في القصبة الهوائية حتى تصل إلى الحنجرة فتجد الممر قد أغلق تماما، وذلك بالتقاء الوترين الصوتيين التقاء محكما لا يُسمح معه للهواء بالمرور، وبعد أن يتزايد الضغط تحت الحنجرة:

يُرْغم الوتران على الابتعاد، فتحدث عمليـة الانفجـار الـذي يُسـمع معـه صوت الهمزة".

أما صاحب تلقيب صـوت الهمـزة بأنـه الحـرف الجرْسـيّ. نسـبة إلي الجرس- فهو: مكي بن أبي طالب، وذلك حيث يقول: "الحرف الجرسي وهو الهمزة، سميت (أي: لقبت) بذلك لأن الصـوت يعلـو (أي يتضـح) بها، ولذلك استثقلت في الكلام، فجاز فيها التحقيق والتخفيـف والبـدل والحذف وبين بين وإلقاء الحركة. والجَـرْس في اللغـة: الصـوت، فكأنـه الحرف الصوتي أي: المُصَوَّتُ به عند النطق، وكل الحروف يُصـوت بهـا عند النطق بها، لكن الهمزة لها مَزِيَّـةٌ زائـدة في ذلـك، فلـذلك اسـتثقل الجمع بين همـزتين في كلمـة، حـتى إن أكثـر العـرب لا تسـتعمله، لأن الصوت في ذلك يتكرر بتكلف شديد بغير واسطة بـين الهمـزتين فيكـون صوتا شديدا قويا فيصعب ذلك، وقـد احتملـه بعـض العـرب إذا كانـت الهمزتان من كلمتين أو في تقدير ما هو من كلمتين، ولذلك قال الخليـل عن الهمزة إنها كالتهوع، وقال مرة أخرى كالسعلة، فلما كان في الصوت زيادة علي الصوت من سائر الحروف: نسبت إلى تلك الزيادة فقيل لهـا: الحرف الجرسي، وقال الخليل: الجَرْس: الصوت: ويقال: أجرس الحَلْيُ إذا صوَّت".

وزاد في باب (الهمزة) تلك المسألة وغيرَها إيضـاحا، فقـال: "الهمـزة أول الحروف خروجا، وهي تخرج مـن أول مخـارج الحلـق، مـن آخـر الحلق مما يلي الصدر، وقد ذكرنا أنها مـن الحـروف المجهـورة، ومـن الحروف الشديدة، وهي من حروف البدل، وذكرنا استثقال العرب لهـا، وكثرة تغييرهم لها، وأنها لا صورة لها في الخط تثبت عليها.

فيجب علي القارئ أن يعرف جميع ذلك من أحوالها وطباعها، فيتوسطَ اللفظَ بها ولا يتعسفَه في شدة إخراجها إذا نطق بها، لكنه يخرجها بلطافة ورفق، لأنها حرف بعُد مخرجه فصعُب اللفظ به لصعوبته، ولذلك لم تستعمل العرب همزتين محققتين من أصل كلمة، ولا توجد همزة مدغمة في همزة إلا في قليل من الكلام. فإذا أخرجها القارئ من لفظه برفق ولطف ولم يتعسف باللفظ بها: فقد وصل إلى اللفظ المستَحَق المختار فيها.

فقد حُكِيَ عن حماد بن زيد أنه قال: رأيت رجلا يتعدى على رجل بالمدينة، فقلت له: ما تريد منه؟ فقال: إنه يتهدد القرآن، فقال: فإذا المطلوب رجل قرأ يهمز، يعني أنه كان يهمز همزا متعسفا.

فيجب على القارئ ألا يتكلف في الهمزة ما يقبُح من ظهور شدة النبر بنبرة الصوت، وأن يلفظ بالهمزة مع النفس لفظا سهلا، فقد قال أبو بكر بن عياش صاحب عاصم: كان إمامُنا يهمز (مؤصدة) فأشتهي أن أسد أذنيَّ إذا سمعتُه يهمزها: يريد: أنه كان يتعسف في اللفظ بالهمز، ويتكلف شدة النبر، فيقبح لفظه بها".

ونخلص من كل ما سبق إلى أن صوت الهمزة المحققة كما كان القدماء ينطقون بها : صوت مجهور شديد، إذ أنها ليست من حروف (سكت فحثه شخص) المهموسة، وفي نفس الوقت: هى أحد حروف (أجدك قطبت) الشديدة أو المغلقة (الانفجارية).

أما سبب صعوبتها البالغةِ حتى وصفت بالصوت المهتوت أو المهتوف أو الْجَرْسِيّ فتكمن - في نظري - في تحقق الجهر والشدة في مكان



واحد، هو فتحة المزمار بين الوترين الصوتيين في أثناء نطقها، وذلك على عكس بقية أصوات العربية التي تجتمع فيها هاتان الصفتان، إذ يكون الجهر في الأوتار الصوتية معها بينما تكون الشدة - وهي غلق ممر الهواء معها- في مكان آخر على طول جهاز النطق، وذلك كما في أصوات: القاف، والجيم، والطاء، والدال، والتاء، والباء.

١- فالقاف ، على سبيل المثال: جهرها بين الوترين، بينما شدتها تتم في مخرجها وهو أقصى اللسان بما فيه اللهاة مع سقف الحنك الرخو. والباء، يتم جهرها في الوترين الصوتيين، بينما تتم شدتها فيما بين الشفتين.. وهكذا.

وبذلك يكون قد اجتمع على صوت الهمزة وحدها مجهودان عضليان في نقطة واحدة، مما جعلها تخرج لدى القدماء بصعوبة بالغة، ومن هنا وصفوها بما وصفوها به من ألقاب كلَّها توحي بالمعاناة والضيق، وإن أدت في نهاية المطاف إلى تحقيق درجة إسماعٍ عالٍ لها، كما وصفت بأنها حُبْسة مزمارية أو حنجرية. ومن هنا كذلك: تطورت في نطق الأجيال العربية التي جاءت بعد عصر الخليل وسيبويه إلى عدة مظاهر بغية التخفيف والتخفف.

وهذا هو مقصود الخليل بقوله: "فإذا رُفِّهَ عن الهمزة: صار نفَسا تحول إلى مخرج الهاء"، وقوله: "فإذا رفه عنها لانت إلى الياء والواو والألف"، كما سبق.

وقول مكي: "وذكر بعض العلماء في موضع المهتوف: المهتوت- بتاءين- قال: لأن الهمزة إذا وقفْتَ عليها لانت وصارت إما واوًا وإما ياء، وإما ألفا".

وإلى ذلك أشار أستاذنا الدكتور/ جبل، في قوله سابقًا: "ومن هنا فحبس الهواء عند الوترين الصوتيين في نطق الهمزة أجهد وأشق منه عند الشفتين في نطق الباء مثلا".

هذا، ومن المعلوم أن هناك فرقا بين صوت الهمزة وصوت الألف (ألف المد) في كل من المخرج والصفات على السواء.

فإذا كانت الهمزة تخرج من فتحة المزمار في الحنجرة: فإن الألف العاديّة المرقّقة تخرج من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الصُّلْب، حيث تقع على المقياس رقم (٤) من مربع (دانيال جونز) الشهير لأصوات الحركة، "وإذا كانت الهمزة شديدة، فإن الألف رِخْوَة".

وإذا كانت الهمزة تمثل أول قائمة الصوامت مخرجا: فإن الألف تمثل أول قائمة الصوائت الثلاثة سهولة وانفتاحا فيقال في عدِّها غالبا: الألف والياء والواو.

وفي أول باب الهمزة يقول المعجم الكبير لمجمع اللغة العربية بالقاهرة في دراسة موجزة مفيدة عن الهمزة والفرق بينها وبين الألف: "الهمزة، أول الحروف الهجائية، والمبُرِّد لا يَعُدُّها، ويجعل حروف الهجاء ثمانية وعشرين، وحجته أنه ليست لها صورة ملتزَمة، فتُكتب ألفا مثل: بدأ، وواوًا مثل: يؤمن، وياء مثل: يستنبئونك، وربما لا يكون لها حرف مثل: بناء.

والحق أنها من حروف الهجاء، لثبوتها في النطق قبل الرسم الذي هو اصطلاح وتواضع، وإنما اختلف رسمها لأنها قد تُخَفَّف فتكتب بصورة الحرف الذي تصير إليه، ولو لم يُراعَ هذا لكتبت بصورة واحدة هي الألف.



وتقع في أول الكلمة ووسَطها وآخرها، كما في: أَمنَ، وسأل، ونشأ، وهي غير الألف اللَّيِّنة التي لا تقع في أول الكلمة، وإنما تقع في وسطها أو آخرها بعد فتح دائما، مثل: قام، ودعا، ويرمز لها ب (لا) أو لامْ ألفْ. ويعد القدماء الهمزة مجهورة، ومخرجها أقصى الحلق، وتُخَالِفُ الألفَ اللينة التي تخرج من الجَوْف. ومن العلماء من يرى أن مخرجها في الأصل: الجوف، كالألف اللينة، وإنما رُفِعَتْ إلى الحلق بسبب شدتها، كما ترفع النون إذا شُدِّدت بالغنة إلي الخيشوم، مع أن مخرجها من طرف اللسان.

ويرى بعض المحدثين أنها صوت مخرجه الحنجرة، ويعدونها صوتا مهموسا شديدا.

وهي قسمان: همزة وصل، وهمزة قطع. الأولى تثبت في بدء الكلام وتسقط في دَرْجِه، مثل: ابن، واسم، واقتدار، وانطلاق، وقد توضع رأسُ صاد في أعلى الألف هكذا (آ) إشارةً إلى كلمة صِلَة، والثانية تثبت في الوصل والابتداء، مثل: أمر، وأسوة، وإبل، ويخففها الحجازيون فيقولون: البير في البئر، والشان في الشأن، والسول في السؤل، وهذه هى لغة التخفيف، ووردت في بعض القراءات، وتقابلها لغة التحقيق التي تُبقى عليها.

وتقع الهمزة أصلية، مثل: أخذ، وسأل، وبدأ، وزائدةً مثل: شَمْأَل، ومبدلةً من حرف أصلي، مثل: كساء (أصلها: كساو)، وبناء (أصلها: بناي)، وإعاء (لغةً في وعاء)، ومبدلة من ألف زائدة كما في قول بعض العرب: دأبَّه في دابة. ويبدلها بعض العرب هاء، فيقولون في أراق: هراق، وعينا فيقولون: علمت عنّك فاضل، أي أنك فاضل".

هذا، وتعد صفة، (الهت) - بمعنى الضغط والحصر - من صفات الضعف لا القوة، ولذلك كان هذا المصطلح مصاحبا للهاء أيضا، والهدف من ذلك: هو الحرص عليها بإظهارها بقدر المستطاع كما يجب.

ثانيا: هتَّةُ (=هَهَّة)

الهاء، وليونتها، وهَشَاشتُها



سبق لنا أن أوْردنا في (التمهيد) للكتاب رؤية الخليل في معرِض حديثه عن أصوات الذلاقة (مُرْ بِنَفْلٍ)، وأن البناء الرباعي والخماسي العربيَّيْن إذا خَلَيَا من تلك الأصوات فهما كلمتان مُحْدَثَتان مُبْتَدَعَتان وليستا من كلام العرب، ثم تقريرَه (أي الخليل) أن صوت الهاء في (دَهْدَاق) - مع الدال والقاف - سببٌ في استحسان هذا البناء، ثم قولَه: "وإنما استحسنوا الهاء في مثل هذا الضرْب لِلينها وهشاشتها".

مخرج الهاء

يرى القدماء من علماء العربية أن الهاء صوت حلقى يخرج من أول الحلق أو أقصاه. "فالخليل يحدثنا عن الحلق والأصوات اللغوية التي تُنطق منه قائلاً: فالعين والحاء والهاء والخاء والغين: حلقية، لأن مبدأها من الحلق" .

"وحدد سيبويه في أصوات الحلق ثلاثة مخارج، وعين أصوات كل مخرج، وتبعه في تحديده كل من تعرضوا لأصوات اللغة من العلماء الذين جاءوا بعده.

فمن أقصى الحلق: الهمزة والهاء، ومن وسطه: العين والحاء، ومن أدناه: الغين والخاء" .

وقال ابن جني: "اعلم أن مخارج هذه الحروف: ستة عشر. ثلاثة منها في الحلق، فأولها من أسفلها وأقصاه: مخرج الهمزة والألفِ والهاء " .

وجاء علماء التجويد فجمعوا الأصوات التي تخرج من الحلق في قولهم:

همز فهاء، ثم عين حاء مهملتان، ثم غين خاء

وقال مكى بن أبى طالب : "الهاء تخرج من مخرج الهمزة من وسط المخرجِ الأول من مخارج الحلق، والهمزة قبلها في الرتبة، وإن كانتا من مخرج واحد" .

أما المحدثون: فيرون أن الهاء صوت حنجرى لا حلقى، مخرجه من الحنجرة مع الهمزة، والذي يميز بينه وبينها: أن الهمزة مجهورة بينما الهاء مهموسة يصحبها نوع من الاحتكاك كالصوائت.

"فالمَحْبَس الحنجرى، فيه يلتقى أحد الوترين الصوتيين بـالآخر، فـإن كان الالتحام بينهما كاملا : حدث صوت الهمزة، وإن اكتفينا بالتقـارب: حدث صوت الهاء" .

"فكل صوت انفجارى (شديد) كـالهمزة: يمكـن أن يكـون احتكـاكىٌّ (رخو) كالهاء مقابلا له، فأي صوت احتكاكى: يتكون في نفس الموضـع الذي يتكون فيه الصوت الانفجارى مع اختلاف في طريقة النطق" .

أما الوضع الفسيولوجى المصاحب لنطق هـذا الصـوت، فيتمثـل كمـا يقول الدكتور/ سعد مصلوح، في: أنه "يتحقق صـوت الهـاء في العربيـة نتيجة تضييق فراغ المزمار حيـث يتقـارب الجـزء الأمـامى الغشـائى مـن الـوترين الصـوتيين ويشـكل ثلثـى طولهمـا، ويتباعـد الجـزء الخلفـي الغضروفي ويشكل الثلث الباقى، فيعبر الهواء فراغ المزمار وقـد تقـارب الوتران الصوتيان، واتخذ المزمار شكلا مثلثا يطلق عليه مثلث الوشوشة".

ويقول الدكتور/ محمود السعران: "الهاء هو صـوت الـنَّفَس الخـالصِ الذي لا يلقى مرورُه اعتراضا في الفم، وللسان أن يتخذ في نطق الهاء أي موضع من المواضع التي يتخـذها في نطـق الصـوائت، ومـن ثم : فمـن المستطاع نطق أنواع من الهاء قدر ما يُستطاع نُطقُه من أنـواع الصـوائت، ولذلك أمكن اعتبار أصوات الهاء صوائت مهموسة، أي صوائت يصحبها همس لا جهر. والهاء العربى: يتكون عندما يتخـذ الفـم الوضـع الصـالح لنطق صوت صائت كالفتحة مثلا، ويمر الهـواء خـلال الانفـراج الواسـع الناتج عن تباعد الوترين الصوتييْن بالحنجرة محدثا صوتًا احتكاكيًـا يُرْفَـعُ الحنكُ الليِّن، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان.

فالهاء العربي: صامت، مهموس، حنجري، احتكاكي".

ويقول الدكتور/ أحمد مختار عمر: "معظم الأصواتيين يتفقون على أن الغلْق ثم التسريح للهواء عند فتحة المزمار – كما يحدث مع الهمزة – يحدد هذا المنطوقَ على أنه صامت، ومع ذلك فهم ليسوا متفقين على أن تضبيق المجرى في نفس المكان يجعل الهاء صوتا صامتا: فكثيرون يعتبرونها صائتًا مهموسًا، بل إن الهاء في بعض الحالات - كما إذا أُوقِعَتْ بين علتين – تصبح مجهورة".

صفات الهاء

أما عن الصفات الصوتية المصاحبة لنطق الهاء، فتتمثل في: أنه صوت مهموس، رخو، مستفل، منفتح، مصمت.

وقديما قال ابن جني: "الهاء حرف مهموس".

وفي بيان مفيد لصوت الهاء: مخرجها وصفاتها، والسبب في تأخير ترتيبها عن الهمزة، يقول أستاذنا الدكتور/ جبل عن مخرجها وما يحدث معها فسيولوجيا: "تخرج الهاء بانفراج الأغشية الصوتية انفراجا كبيرا أمام الهواء المندفع من الرئتين لأدائها، مع عدم تضايق أية نقطة في مجرى ذلك الهواء في الجهاز الصوتي حتى يخرج.

بل ثبت بالملاحظة أن الحنك الرخو عند اللهاه وفوقها يتراجع إلى الخلف وإلى أعلى عند نطق الهاء تراجعا قويا واضحا للحظة وجيزة، وذلك يساعد على إفراغ الهواء بسرعة ويُسْر، ولهذا يمكن القول إن أعلى الحق يشترك جزئيًا في نطق الهاء، وهذا الاشتراك يوجه تأخير ترتيبها عن مخرج الهمزة – والألف في بعض الروايات-، ولكنْ نظرًا إلى أن انفراج غشائى الحنجرة أمام هواء الهاء هو العامل المهم في تكوين صوتها، فإنها تعد حنجرية، وتقابل الهمزةَ التي يتكون صوتها بالتقاء تلك الأغشية.

وقد أسلفنا أن قدماء اللغويين العرب قرروا أن الهاء مع الهمزة من أقصى الحلق، وبيّنّا أن أقصى الحلق يتحد عندهم مع موضع (صوت الصدر) أي موضع صدور زمير الجهر وهو فتحة المزمار في الحنجرة، أي أنه يمكننا أن نقول: إنها عند قدماء اللغويين العرب حنجرية.

وقد صرح بذلك ابن سينا، حيث قال بعد أن ذكر حدوث الهمزة من حصر الغضاريف الهرمية في الحنجرة للهواء الذي يحفزه الصدر: (وأما الهاء فإنها تحدث من مثل ذلك الحفز في الكم والكيف، إلا أن الحبس لا يكون حبسا تاما، بل تقفله حافَات المخرج - يعنى فتحة المزمار- وتكون السبيل مفتوحة، والاندفاع يَمَاسُّ حافاتِه بالسواء غير مائل إلى الوسط.

هذا، وقد وضعت موسوعة المعارف البريطانية (وتشمبرز) الصوت اللغوي (h) المماثلَ للهاء العربية في نهر الحروف المزمارية glottal، وبذلك يمكن القول بأنه ليس هناك اختلاف في تحديد مخرج الهاء.

ويندفع نفَسها من الرئة حتى الأوتار التي تنفرج فلا تهتز ولا يصدر زمير، ولكن يهتز عمود الهواء في الحنجرة والحلق فيكون صوتُ الهاء، بمساعدة الاختلاف بينه وبين ما يسبقه وما يليه من الحروف".

كما يقول في مؤلّف آخر له: " الهاء، تنفرج لها الأوتار الصوتية انفراجا واسعا ويمر هوائها عمودا في وسط الحلق، وتتأخر اللهاة ليتدفق الهواءُ خارجا"

ويقول مالبرج: الصامت الرِّخْو الحنجري: الهاء ، ويقول شيخنا الدكتور/جبل عن صفات هذا الصوت.. مصحِّحا لبعض التوهمات لدى طائفة من المحدثين: "والهاء رِخْوة، ولعلها أكثر الحروف رخاوة. ويرى بعض اللغويين المحدثين أنها تكون مجهورة في بعض الأحيان، ولعلهم يقصدون: إذا سُبقت بحرف أو حركة مجهورَيْن، ولكن ذلك ليس خاصا بالهاء، فالأصوات كثيرا ما تتأثر بالمجاورة. فالهاء من الحروف الرخوة المستفلة المنفتحة المصمتة".

ثم يقول عن بعض القضايا اللغوية التي تعرض للهاء خصوصا مع نظيرتها الهمزة: "ولاشتراك الهاء مع الهمزة في مخرج واحد ومع (صعوبة) الهمزة: كثر وقوع الإبدال بينهما، كما في أرقْتُ الماءَ وهَرَقْتُه، وإياك أن تفعل وِهيّاك، والإِبْرِيَةُ والهِبْرِيَةُ: القشر الذي في أصول الشعر ... الخ.

ووقع في لهجة طَيِّئ إبدال الهمزة هاء في بعض المواضع، فيقولون: هَنَ فعلتُ كذا، يقصدون أنا فعلت كذا، ومنه قول الشاعر:

ألا ياسَنَا بَرْقٍ على قُلل الحِمَى ∴ لَهنَّكَ من برقٍ عليَّ كَرِيمُ

ولذلك الاشتراك بين الهاء والهمزة في المخرج: تصاقبتْ (تقاربت) معانى الكلمات التي تناظرا فيها، مثل: أزّه: أزعجه وأقلقه، وهزَّه: حرّكه، وأبّ ليذهب، أي: هَمَّ، وهبَّ أي: ثار. فالكلمات الهائية أكثر حِسِّيَّةً، لما في الهاء من انصباب قوى".

وتتمثل خلاصة ما سبق في أن "عدم الانسداد أو التضييق في البَلْعوم هو الذي يؤدى إلى إنتاج صوت الهاء".

هتَّة (= هَهَّة) الهاء

يقول الخليل عن هذا المصطلح مع ذلك الصوت: "ولولا هتة في الهاء – وقال مرة: هَهَّةٌ – لأشبهت الحاء؛ لقرب مخرج الهاء من الحاء" .

وقد سبق أن ذكرتُ في بداية موضوع (هتّته الهمزة) : أن الهمزة والهاء كلاهما يخرجان من الحنجرة مما بين الوترين الصوتيين، وأن الفرق بينهما فسيولوجيا في هذا الخصوص يتمثل في الالتحام الكامل للوترين مع الهمزة، والاكتفاءِ بالتقارب فقط مع الهاء.

ودونك هذه النصوص كما سبقت قريبا:

قال ابن سينا من القدماء: أما الهاء "فإنها تحدث من مثل ذلك الحفْز (للهواء) في الكم والكيف، إلا أن الحبس لا يكون حبسا تاما ، بل تقفله حافات المخرج – يعنى فتحة المزمار – وتكون السبيل مفتوحة، والاندفاعُ يَمَاسُّ حافاتِه بالسواء غيرَ مائل إلى الوسَط".

ويقول الأنطاكى من المحدثين: "فالمَحْبِس الحنجرى: فيه يلتقى أحد الوترين الصوتيين بالآخر، فإن كان الالتحام بينهما كاملاً: حدث صوت الهمزة، وإن اكتفيا بالتقارب: حدث صوت الهاء".

ويقول الدكتور/ أحمد مختار عمر: "معظم الأصواتيين يتفقون على أن الغلْق ثم التسريح للهواء عند فتحة المزمار كما يحدث مع الهمزة: يحدد هذا المنطوق على أنه صامت، ومع ذلك فهم ليسوا متفقين على أن تضييق المجرى في نفس المكان يجعل الهاء صوتا صامتا".

ويقول الدكتور/ سعد مصلوح: "يتحقق صوت الهاء في العربية نتيجة تضييق فراغ المزمار، حيث يتقارب الجزء الأمامى الغشائى من الوترين الصوتيين ... فيعبر الهواء فراغ المزمار وقد تقارب الوتران الصوتيان".

ويقول الدكتور/ جبل: "نظرًا إلى أن انفراج غشائى الحنجرة أمام هواء الهاء هو العامل المهم في تكوين صوتها: فإنها تعد حنجرية، وتقابل الهمزة التي يكون صوتها بالتقاء تلك الأغشية".

وباستعراض هذه النصوص نراها مُجْمِعةً على أن مجرى هواء التنفس مع صوتي الهمزة والهاء – وهو ما بين الوترين الصوتيين – يكون مع الهمزة مغلقا غلقا تاما محكما، بينما يكون مع الهاء غير تام الغلق.

وتصلح هذه النتيجة أن تكون سبيلنا لفهم معنى مصطلح (الهتِّ) مع ذَيْنِكَ الصوتيْن، إذْ تشترك الهاء مع الهمزة – وكلاهما من فتحة المزمار – في هذه الخاصِّيَّة أو ذاك المصطلح: الهتَّة.

وقد سبق في الهمزة أن الهتَّ معها يعنى: احتكاك هواء التنفس المصاحبِ لها احتكاكا شديدًا، نتيجة انقباض جوانب أقصى الحلق من جراء ضيق تلك المنطقة لدرجة الغلق التام. وكذلك تكون هتة الهاء تماما بتمام؛ حيث مخرج الصوتين واحد، غير أن التضييق مع الهمزة يكون أشد وأمكن، بينما يكون مع الهاء أقل بعض الشئ، مما يسمح لهواء التنفس المصاحب لها بالتسيّب والانهيار، فيَنْفَدُ بسرعة، خصوصا إذا نُطِقَتْ وهى مُشَكَّلَةّ بما يُعرف بالسكون.

ويعبِّر (جان كانتينو) عن عملية الحصر والتضييق المصاحِبَيْنِ لنطق الهاء في العربية بكلمة: الدَّعْك! أي الاحتكاك الشديد.

استمع إليه يقول عن هذا الصوت: "وهو حرف رخو، يُقْـرَعُ (يخـرج) بأن تدفع الهواء من رئتيْك دفعا قويا فيَدْعَكَ جوانب أقصى الحلق".

وإلى هـذا التعـبير أميـل، لأنـه أدق مـن كـل مـا سـبق في تعريـف فسيولوجية مصطلح (الهتّة)، سواء مع الهمزة أو الهاء العربيين!!

وعلى ذلك: فمجرى هواء النفس يكون مع الهمزة مغلقـا برهـة مـن الزمن يعقبها تسريحه فجأة، مع اهتزاز الوترين الصوتيين، فتُسمع شديدةً مجهورة. "فوصْفُ الخليلِ الهمزةَ بأنها مهتوتة يعني: الضغط والحصـر في إخراجها إلا أنه يرفَّه عنها، فتخفف أو تبدل ألفا أو هاء".

أما مع الهاء: فإن مجرى هواء التنفس يكون مغلقا بصورة ناقصة، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان، ولذا تُسمع رخوة مهموسة، تنفد معهـا كميـة الهواء المصاحبةُ لدرجة التهيُّر والانصباب، فيضعف صوتُها ويضـمحلّ. "وقولةُ سيبويه في وصف الهاء بأنها مهتوتة، يعنى بهـا: ضـعف صـوتها وخفاءه؛ أخذا من التسيّب والانهيار في معنى كلمة الهت".

وإلى مثل ذلك أشار ابن جني، حيث بَيَّنَ الضعفَ في المخـرج وبَـيَّنَ الخفاءَ الذي يترتب على هذا الضعف في قوله المقتضب: "ومن الحروف: المهتوت، وهو الهاء؛ وذلك لما فيها من الضعف والخفاء".

وقال (كانتينو): "المهتوت، ومعناه: المحصور المكسـور أو المقـول بسرعة وغزارة في الكلام.

ويطلق ابن جني في (سر الصناعة) هذا النعت على الهاء.

ويذكر الأزهرى في (تهذيب اللغة) أن الخليل يطلق لفظ المهتوت على الهمزة".

هذا، ولما كان التضييق في مخرج هـواء التـنفس المصـاحبُ لنطـق صوت الهاء فارقا بينها وبين الهمزة: فإنه يعد - مـن جهـة أخـرى- فارقـا بينها وبين الحاء.

ذلك أن المجرى مع الهمزة يكون مغلقا كما سـبق، بينمـا يكـون مـع الهاء غير تام الغلق، ويكون مع الحاء مفتوحا كما سـيجئ عنـد الحـديث عن المصطلح الثالث: بُحَّة الحاء.

وهذا هو معنى قول الخليل في بداية حديثنا عن هذا المصـطلح (هتـة الهاء): (ولولا هتة في الهاء – وقال مرة ههة – لأشـبهت الحـاء، لقـرب مخرج الهاء من الحاء).

والهت كما سبق هو: الحصر والضغط بشدة.

أما الهَهَّة: فهي حكايـة صـوت الهـاء في أثنـاء خروجهـا والنطـقِ بهـا مستنفدةً بسرعة لهواء التنفس المصاحبة لها لدرجة التهيُّر والانصباب كما سبق.

هـذا، ومـن معـاني (الهَهَّـة) في اللغـة : اللهجـة، أو اللَّثْغـة! قـال الجَوْهري في مادة (لهس): " يقال : فلان من جِنْثِك وجِنْسِـك، أي: مـن أصلك، لغةٌ أو لُثْغة.

وقال أيضا: "اللَّهْسُ : لغةٌ في اللَّحس، أو هَهَّةٌ، أي : لُثْغةٌ .

ليونة الهاء

في أثناء حديث الخليل عن أصوات الذلاقة، وعن أن البناء الرباعي أو الخماسي العربي إذا خلا من تلك الأَصوات فهو كلمة مُحْدَثَة مُبْتَدَعَة وليست من كلام العرب، يقرر لنا: أن صوت الهاء في مثل (دَهْدَاق) - مع الدال والقاف - سبب في استحسان هذا البناء، ويقول "وإنما استحسنوا الهاء في هذا الضرب لِلِينها وهشاشتها" .

يقول المعجم الوسيط في مادة (لان):

لانَ الشيءُ يَلِين لِينًا ولَيَانًا: سَهُل وانقاد، فهو لِيْنٌ ولَيّن . والجمع: ألْيِناء . ويقال: لان لقومه. وفي التنزيل العزيز: (فبما رحمة من الله لنت لهم).

ويقال: رجل لين الجانب. والِّينُ: يقال: نزلوا بلين من الأرض.

ويتضح من استعراض هذه المادة اللغوية ومشتقاتها؛ أن الليونة تعنى السهولة والانقياد. وكذلك صوت الهاء: صوت ليّن لا صعوبة في نطقه، "وإنما هى نفَس لا اعتياص فيها" ، أي: لا صعوبة.

فمخرجها ليس مغلقا غلقا تاما كما هو الحال مع الهمزة، وصفاتها كلُها ضعيفة فهي: رخوة، مُسْتغِلة، مُنْفَتحة ، مُصَمَّة كما سبق، ولذلك عدت أضعف الأصوات قاطبة، "فالحروف التي الانفتاحُ فيها أكثرُ ما يكون - أي التي ينفتح فيها جهاز التصويت انفتاحا عاديا ليجرى النفس جريا – تسمى حروفا هاوية، نحو الهاء " .



هشاشة الهاء

يقول المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية تحت مادة (هش) ما نصه:

هشَّ الخبزُ ونحوُه يَهِشُّ هَشًّا وهشوشة: رقَّ وجَفّ حتى صار سريع الكسر.

وهش العودُ هشوشا: تكسّر. وهش الشئ هشوشة: صار خوّارا ضعيفا. وهشَّش فلانا: استضعفه.

والهشُّ: ما يقبل الكسر بسهولة. يقال: خبز هشٌّ. والهش من كل شئ: ما فيه رخاوة ولين.

والهاء - كما مر- لا تخرج عن هذه الصفات.. فهى لينة هشّة؛ لأنها مجرد نَفَس لا اعتياص (أي: لاتَعَبَ) فيه كما قال الخليل، ولا يهتز الوتران الصوتيان معها، ولذا يسمع صوتها رخوا مهموسا، لينا هشا.. وبالتالى: ضعيفا خفيا.

هذا، وباستعراض المصطلحات الثلاثة المصاحبة للهاء، وهى: الهتة أو الههّة، والليونة، والهشاشة: نرى أنها جميعا. تعنى الرخاوة والضعف والخفاء.

يقول الدكتور/ جبل في هذا: "وصَف الخليلُ الهاءَ بأنها خفيّة لا صوت لها، ووصفها سيبويه بأنها حرف مهتوت، لما فيها من الضعف والخفاء".

ويدعم هذا: ما قرره علماء التجويد والقراءات، من أن صفاتِ الضعف كلَّها قد اجتمعت في صوت الهاء.

يقول محمد مكى نصر: "وأما خفاء الهاء: فلاجتماع صفات الضعف فيها: قال في (الرعاية) : الخفاء من علامات ضعف الحروف، ولما كان الهاء حرفا خفيا: وجب أنْ يُتَحفَّظ ببيانها حيث وقَعَتْ".

وتتميما لهذا وتقوية له: فإن صاحب (نهاية القول المفيد) قد عدَّ الهاء أضعف الحروف قاطبة، فقال، نقلا عن (المَرْعَشيّ): "وأضعف الحروف المهموسة: الهاء، والظاء، والثاء المثلثة؛ إذْ ليس فيهن صفة قوة، بل أضعفها الهاء".

ويقول مكى: "وقد ذكرنا أن الهاء حرف خفي ضعيف، وأنها من الحروف المهموسة، ومن الحروف الرّخوة، ولولا الهمس والرخاوة اللذان في الهاء مع شدة الخفاء لكانت همزة، وكذلك لولا الجهر والشدة اللذان في الهمزة لكانت هاء، إذ المخرج واحد، وإنما فَرَّقَ بين هذه الحروف في السمع: اختلافُ صفاتها وقوتُها وضعفُها، ولولا ذلك لم يختلف السمع في حرفين من مخرج واحد".

وإلى مثل ذلك يذهب الدكتور علاّم، إذ يقرر أن هناك مجموعة من الصفات المقررة للحروف قد توفر على ذكرها مكى بن أبى طالب في كتابه (الرعاية)، منها ما هو من قبيل الصفات الجوْهرية المشخِّصة للصوت، مثل: الحرف المهتوت أي المضغوط بشدة من أجل الحرص عليه وإظهاره، وهو الهاء.

أما عن الخفاء العائد على صوت الهاء، فيقول الدكتور/ علام في ذلك: "جعل علماء التجويد والقراءات صفة الخفاء من الصفات الجوهرية لأصوات أربعة، منها الهاء. قال مكى: الحروف الخفية أربعة- وعد منها



الهاء – وإنما سميت بالخفية لأنها تخفي في اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها، إنما لفظها في هذا خَفِيَ بين حرفين، أو بعد حرفٍ أو حروفِ هواء.

ويقول صاحب كتاب (نهاية القول المفيد): اعلم أن الخفاء معناه في اللغة الاستتار، وفي العرف: إخفاء صوت الحرف، وحروفه أربعة، ذكر منها الهاء. قال أبو شامة: وأما خفاء الهاء فلاجتماع صفات الضعف فيها".

وفي موضع لاحق يقول عن ظاهرة الخفاء في صوت الهاء بما يشبه أن يكون تفسيرا حديثًا لأقوال هؤلاء السابقين: "أما نسبتهم الخفاءَ لصوت الهاء ففيه نصيب كبير من الصواب، لعدة أمور، منها: أن صوت الهاء من الصوامت وليس من الحركات، والصوامتُ أقل في الوضوح السمعى من الحركات، وأن صوت الهاء من الأصوات المهموسة، والمهموسةُ أقل في نسبة الوضوح السمعى من الأصوات المجهورة، وأن صوت الهاء – إلى جانب كونه مهموسا- صوت رخو، وهذا يجعله أقل في نسبة الوضوح السمعى، فيمكن في النهاية القول بأن الهاء صوت خفي".

ثم يقول في موضع آخر: "أما بالنسبة لصوت الهاء، فإن حكمهم عليها بالخفاء يتفق مع الدراسات الحديثة، لأنها صوت مهموس، ولأن مخرجها يتكون عن طريق تضييق الممر، فيخرج منه الهواء غيرَ مُحَمَّلٍ باهتزازات الوتريْن الصوتيين".

ثالثا: طَلاَقَةَ العَين، ونَصَاعَتُها

يقول الخليل في هذا المضمار: إن "العين والقاف لا تدخلان بناءً إلا حسّنتاه؛ لأنهما أطلق الحروف، وأضخمها جرْسا، فإذا اجتمعتا، أو أحدُهما، في بناء: حسُن البناء؛ لنصاعتهما" .

ويقول كذلك: "فمهما جاء من بناء اسم رباعى منبسط (غير مضاعف) من الحروف الذَّلْق الشفوية: فإنه لايَعْرَى من أحد حروف الطلاقة، أو كليهما" .

ويقول ابن جني: "على أن العين والقاف قد حسّنتا الحال (أي النطق)؛ لنصاعة العين ولذاذة مُسْتَمَعِها، وقوة القاف، وصحة جَرْسها" .

ويقول الأزهرى اللغوي: "أما العين: فأنصع الحروف جَرْسا، وألذها سماعا، وأما القاف: فأمتن الحروف وأضخمها جرْسا، فإذا كانتا، أو إحداهما، في بناء: حسُن؛ لنصاعتهما" .

هذا، ويختص مصطلح (طلاقة العين) بمكان خروجه ؛ بينما يختص مصطلح (نصاعة العين) بما كان يحمله هذا الصوت قديما من صفات صوتية، ومازال يحمله إلى الآن على ألسنة بعض العرب المُحْدَثين، كما سيجيئ.

وللعلم؛ فإن الغموض مازال يكتنف صوت العين إلى الآن ، من حيث مخرجه وما يحدث في منطقة الحنجرة وأجزائها وتجاويفها حين تكوينه، رغم التقدم العلمي الهائل "فإن التحليلات الحديثة القائمة على تسجيلات جهاز (الاسبكتروجراف) لم يعط نتائج نهائية قطعية، كما أن الفحص بأفلام أشعة (إكس) لم يعط نتائج واضحة" .

ويشترك مع صوت العين في هذا الغموض أيضا: الأصوات الأنفية، التي يبدأ تكونها في منطقة اللهاة حتى فتحة المزمار، بل "تعد أصعب الأصوات في مجال الفحص، وحين فحصت بأشعة (إكس) لم تكن النتائج كاشفة كما كان متوقعا، لأن الأفلام لم تظهر حركات عضلات الحلق، وإنما أظهرت- فقط – الجدار الخلفي للحق".

مخرج العين

تمتاز اللغة العربية عن كثير من اللغات الأخرى باستخدامها فراغ البُلعوم كمخرج لبعض الأصوات التي تمثل صوتيمات في نظامها .

وقد اتفق القدماء على أن العين من أوسط الحلق .

يقول الخليل: "وأما مخرج العين والحاء، والخاء والغين: فالحلق"، أي: من وسَطه وأدناه، بدليل قوله بعد ذلك عن الهمزة: "وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق" .

وقال في سبب تلك التسمية، ضامًّا الهاء مع ما سبق: "فالعين والحاء والهاء والخاء والغين حلقية ، لأن مبدأها من الحلق" .

ويقول ابن جني: "ومن وسط الحلق: مخرج العين والحاء" .

هذا، "والبُلعوم أو الحلق: هو الفراغ الموجود خلف الأنف والأذن والحنجرة" .

فـ " المَبْلَعُ – كمقعد: الحَلْق، والبُلْعوم: مجرى الطعام في الحلق، ومثله: الحلق والحُلقوم" . أو: "هو الجزء الذي بين الحنجرة والفم، وهو – فضلا عن أنه مخرجٌ لأصوات لغوية خاصة – يُستغل بصفة عامة كفراغ رنان يُضَخِّمُ بعض الأصوات بعد صدورها من الحنجرة" .

أو: "هو الفراغ الواقع فوق الحنجرة، وينتهى عند فتحتى الفم (والأنف) وفي هذا الفراغ تُنْتَج الأصوات البُلْعومية الاحتكاكية" .

وعلى ذلك يُحمل قول الخليل: " فأقصى الحروف كلها : العين ثم الحاء" . أي: حروف وسَط الحلق، "فالعين لدى القدماء: صوت حلقى، مجهور، متوسط، مستفل، منفتح، مصمت .

أما العين لدى المحدثين: فهى - وإن كانت من وسط الحلق أيضا- إلا أن كيفية خروجها قد اختلفت عنها لدى القدماء، كما أن بعض صفاتها قد أصابه التطور، كما يتضح لنا فيما بعد.

لكنها – عموما - لدى هؤلاء المحدثين: صوت حلقى .

ولدى هؤلاء المحدثين "يتم نطق العين بتضييق الحنجرة عند لسان المزمار، ونتوء لسان المزمار إلى الخلف حتى ليكادَ يتصل بالحائط الخلفي للحلق، وفي الوقت نفسه: يرتفع الطبق ليسُدَّ المجرى الأنفي. وتهتزُّ الأوتار الصوتية" . وعلى ذلك: "فالمَحْبِس الحلقى: فيه تتقارب جدران الحلق حتى لا تترك بينها إلا فرجة صغيرة يمر منها الهواء. ومن هذا المحبس يحدث صوتا : العين والحاء" .

صفات العين

وعن أوضح صفات العين: قرر اللغويون أن العين صوت مجهور.

يقول ابن جني: "العين حرف مجهور" .

ويقول الدكتور/السعران: "العين هو النظير المجهور للحاء، أي أن العين يتكون حيث يتكون الحاء وكما يتكون الحاء، إلا أنه تصحبه نغْمة موسيقية، إذْ يتذبذب الوتران الصوتيان عند تكوينه. فالعين: صامت؛ مجهور، حلقى، احتكاكى" .

أما الصفة الثانية التي فيها نسبة وضوح صوتى يُعْتَدُّ بها لدى القدماء فهى: التوسط بين الشدة والرخاوة.

يقول الدكتور/ رمضان عبد التواب: "وقد عد سيبويه وغيره من القدماء صوت العين من الأصوات المتوسطة" .

وإلى مثل ذلك يذهب الدكتور/ أحمد مختار عمر، حيث يقول: "اتفق القدماء على وصف العين بأنها من أوسط الحلق، فإنها المقابل المجهور للحاء، ولكنهم فرقوا بينها وبين الحاء من ناحية وصفهم للعين بأنها بين الرخوة والشديدة ، وللحاء بأنها رخوة ، وضموا إلى العين في وصف التوسط أصواتا أخرى، هى: اللام، والنون، والميم، والراء. وزاد بعضهم: الياء ، والواو" .

ويقول مكى بن أبى طالب من التجويديين: "ويقال إن فيها بعض الشدة" .

غير أن المحدثين من علماء الأصوات قد عالجوا الأصوات التي سماها القدماء: المتوسطة بين الشدة والرخاوة "تحت أسماء وصفات وألقاب خاصة.

فاللام من قولهم (لن عمر): جانبية، والنون: أنفية، والراء: مكررة".

وأخرجوا العين من هذه الأصوات بالكلية.

ويمتدح أستاذنا الدكتور/ علاّم مسلك القدماء، من حيث الشكل واطرادُ التقسيم، فيقول: "أما القدماء من علماء العربية فقد انفردوا بتصنيف خاص للأصوات من حيث الشدةُ وعدمُها، ومن خلال النظرة الأولى لهذا التصنيف: يتضح لنا دقة تقسيم القدماء من حيث الشمولُ والحصرُ واطراد القاعدة ووجود مناط للتقسيم.

فالأصوات جميُعها لا تخرج عن كونها إما : شديدة أو رخوة أو متوسطة، بخلاف المحدثين ، فإن الأصوات عندهم تكون: إما شديدة أو رخوة، وإذا لم تكن شيئا من ذلك: فإما أن تكون جانبية كاللام، أو مكررة كالراء، أو أنفية كالميم والنون ، فليس لديهم مناط واحد للتقسيم المذكور".

هذا، وكان الدكتور/ إبراهيم أنيس عليه رحمة الله قد سبق إلى الحديث عن شدة الصوت ورخاوته والتوسط بينهما ، وقال عن هذه الحالة الأخيرة: "على أنه رغم التقاء العضوين مع بعض الأصوات: قد يجد النفَس له مَسْرَبًا يتسرب منه إلى الخارج، وحينئذ: يمر الهواء دون أن يحدث أي نوع من الحفيف، ويُلاحظ هذا مع اللام والنون والميم والراء.

ولعل هـذا هـو الـذي دعـا القـدماء إلى تسـمية هـذه الأصـوات الأربعـة بالأصوات المتوسطة أي: التي ليسـت انفجاريـة (شـديدة) ولا احتكاكيـة (رخـوة). والمحـدثون مـن علمـاء الأصـوات قـد برهنـوا علـى أن هـذه الأصوات الأربعة تُكَوِّنُ مجموعةً خاصة لا هى بالشديدة ولا الرخوة.

وقد زاد القدماء على هذه الأصوات الأربعة: العـين، فعـدُّوها صـوتا متوسطا أيضا.

ولقلة التجارب الحديثة التي أجريت على أصوات الحلق: "لا نسـتطيع أن نرجح صحة هذه الصفة للعين ، بل نتركها لتجارب المستقبل لتـبرهن عليها" .

ويبدو أن هذا التقرير من الدكتور أنيس قد تجاوزه الزمن. فقد أظهرت نتائج إحصـاءات الكمبيـوتر علـى معجـم (لسـان العـرب) الـتي أجراهـا الدكتور علي حلمي موسى : أن الفئة الأولى من الحـروف الأكثـر تـرددا تشمل : الراء – اللام – النون – البـاء – المـيم – العـين – الفـاء، علـى الترتيب "

ويقول الدكتور/جبل: "العين صوت مجهور، وعـدت متوسـطة بـين الشدة والرخاوة لانسداد سبيل نفَسها بالهَنات اللَّحْميّة الرخوة" .

وباستعراض كل ما سبق، نـرى أن صـفات (العـين) تتمثـل في: أنهـا صوت "مجهور، رخو، مستقل، منفتح، مصمت".

طلاقة العين

يقول ابن سينا في كيفية حدوث صوت العين: "وأما العين: فيفعلها حفْز الهواء، مع فتح الطَّرْجِهالى (المِزْمار) مطلقا، وفتح الذي لا اسم له (لسانِ المزمار) متوسطًا، وإرسال الهواء إلى فوقَ ليتردد في وسط رطوبة يتدحرج فيها، من غير أن يكون هذا الحفز خاصا بجانب".

ويتفق المحدثون على: أن صوت العين في لغتنا العربية "يتم نطقه بتضييق الحلق عند لسان المزمار، ونتوء لسان المزمار إلى الخلف حتى ليكاد يتصل بالحائط الخلفي للحلق. وفي الوقت نفسه: يرتفع الطبق لِيَسُدَّ المجرى الأنفي، وتهتزُ الأوتار الصوتية". "فالانسداد غير التام أو التضييقُ في البُلعوم هو الذي يؤدى إلى إنتاج صوتى العين والحاء".

وفي بيان أكثر يقول الدكتور/ جبل: "وللنطق بالعين: يندفع النفس من الرئة فيضيق الوتران أمامه فيحتك بهما في مروره فيهتزان ويصدر زمير الجهر، ثم يستمر الصوت (النفس + زمير الجهر) حتى يصادف الحاجزَ الرخو فلا يقوى- لرطوبته – على منع الصوت فينفُذُ الصوتُ من أثنائه"، "وهذه الرطوبة تحدث بسبب تجمع هَنات لحمية رخوة (الزائدة اللسانية وما حولها من جِزْع اللسان واللَّوْزَتَيْن وطَرَف اللهاة) في موضع تَكَوُّنِ صوت العين".

ولا يكاد صوت العين يختلف كثيرا في طريقة نطقه لدى المحدثين عنه لدى القدماء.

غاية ما في الأمر - كما أتصور - أن تضييق الحلق لدى القدماء كان يتم بطريقة أقل مما هو لدينا الآن.

والنتيجة الطبيعية: مزيد اتساع لمجرى هواء التنفس عند خروجه مع هذا الصوت ، فيكون حرا طليقا.

فمادة (طلق) اللغوية وما يشتق منها: تدور حول التحرر والفصاحة والعذوبة وعدم التقيد بحدود.

ففي اللغة: "طَلَق يَطْلُقُ طُلُوقا وَطلاقا: تحرّر من قيد ونحوِه. وطَلَقَ اللسانُ: فَصُحَ وعذُب منطقُه. وأطلق له العِنان: أرسله وتركه. وانطلق اللسانُ: صار طَلْقا. والطَّلْقُ: المطلق غيرُ المقيّد. ومن الألسنة: المنطِلق، الحديدُ، الفصيحُ، العذْبُ المنطقِ. والمُطْلَق ما لايُقَيَّدُ بقيد أو شرط".

وما دام الصوت يتحدد بمخرجه وبطريقة نطقه: فإن العين يمكن أن نطلق عليها: إنها من الأصوات المتُمَادَّة أو المستمرة أو المتطاولة زمنيا، إذْ "تتميز الصوامت بأنها ضوضاء أو تشتمل على ضوضاء ، وهى تنطق مع إغلاق أو تضييق في مجرى الهواء.

ويُفَرَّق- عادة – بين الصوامت المؤقتة التي تفترض إغلاقا كاملا متبوعا بفتح مفاجئ (انفجار) وبين الصوامت المستمرة التي تتميز بنوع من التضييق في مجرى الهواء ، ومن ثم : يمكن أن تكون متطاولة من حيث المبدأ، طالما سَمَح هواء الرئتين بذلك".

وإلى مثل ذلك أشار الدكتور/ محمود السعران ، وذلك حيث يقول: "فالأصوات الانفجارية أصوات آنيّة، والأصوات الاحتكاكية متمادّة، بمعنى : أنه يمكن الاستمرار في نطقها ما أسعف النفَس".

وعلى ذلك : تعد العين من الأصوات الاحتكاكية المتمادة ، لا الآنّية الموقوتة.. وهذا يمثل جانبا من طلاقتها.

فطلاقة العين – إذن- تتمثل في: أن ممر الهواء معها كان أقرب إلى الانفتاح لدى أسلافنا القدامى، وكان هذا الوضع يعطى فرصة أكبر لانتشار هواء التنفس المحمَّل بصوتها وترددِه في جَنَبات الحلق.

ويضاف لذلك: أن صوت النفّس معها لا ينقطع بسرعة كالأصوات الانفجارية أو الشديدة؛ إذْ إنها من الأصوات التي فيها نوع من الاحتكاك وإن كان قليلا، وهذا هو معنى التوسط بين الشدة والرخاوة الذي كانت العين قديما توصف به.

ويمكن أن نلمح شيئا مما تقدم في قول الدكتور/ أحمد مختار عمر، مفرِّقا بين العين والحاء: "إن الفرق الأساسى هو أن الاحتكاك في العين أقل منه في الحاء ، وربما كانت العين – كما يقول الدكتور بشر – أقل الأصوات الاحتكاكية احتكاكا على الإطلاق" .

وفي قول الدكتور/ سعد مصلوح : "تتنوع الانطلاقيات الاحتكاكية العربية أولا بحسب المخارج. فمن فراغ المزمار: تُنتج الهاء، ومن البُلْعوم الفَمَوِىّ: الحاءُ والعين، ومن مؤخَّر اللسان مع الحنك الليِّن: الخاء والغين.

كما تتنوع ثانيا بحسب الجهر والهمس.

والاحتكاكيات المجهورة في العربية هى: العين والغين، أما المهموسات فهى: الهاء غالبا، والخاء" .

فالعين: على رأس الأصوات الانطلاقية الاحتكاكية كما ترى، وهذا هو الذي جعل القدماء من علماء العربية يضعونه في مرتبة تلى مرتبة الصوائت من حيث الوضوح في السمع.

يقول الدكتور/ مصلوح أيضا: "صوت العين الذي يُعتقد من خلال المعطيات التجريبية أنه – ولا سيما في النطق المعاصر – أقربُ إلى أن يكون صائتا لا صامتا.

ولعل ذلك ما جعل كثيرًا من علماء السلف يضعونه في الطبقة التالية مباشرة لأصوات المد، والتي سمَّوْها بالأصوات المتوسطة.

لكن هذا الصوت مازال يُعْزَى- من حيث الوظيفةُ – إلى طائفة السواكن".

نصاعة العين

يؤكد القدامى والمحدثون من علماء اللغة والأصوات على أن صوت العين صوت مجهور.

ومعنى جهره: وجود عدد كبير جدًا من الذبذبات الصوتية المصاحبة له نتيجة اهتزاز الوترين الصوتيتين حين النطق به.

وإذا كانت الأصوات المهموسة عشرة جمعت في قولهم (سكت فحثة شخص)، فإن الأصوات المجهورة – ومنها العين – تسعة عشر، هى ما عدا المهموسة، "وقد جمع بعض علماء التجويد الأصوات المجهورة في قولهم: عظم وزنُ قارئ ذى غَضٍّ جدَّ طَلَبَ" .

ورغم أن علماء اللغة القدامى كانوا لا يعرفون تشريح الحنجرة على وجه الدقة .. فإنهم أدركوا دورها وعمل أجزائها على وجه التقريب من خلال الملاحظة والذوق والتجربة لنطق جميع الأصوات اللغوية وهى تتكون وتتشكل فيها، بالإضافة إلى ملاحظة التقابل بين الصفتين اللتين تصدران منها في مصاحبة الأصوات اللغوية، وهما: الجهر والهمس.

يقول (كانتينو) في ذلك: "لقد كان علماء الأصوات العربُ يجهلون الدور المضبوط الذي تقوم به الأوتار الصوتية، على أن الجواب على هذا الاعتراض يسير، إذ أنه يمكن التفطُّنُ إلى المقابلة بين المجهورة والمهموسة تفطنا دقيقا جدًا دون معرفة سببهما الحقيقى" .

وتعد صفة الجهر أهم صفات العين، وهى التي يطلق عليها: الرنين. "فذلك الرنين هو أثر ذبذبة الوترين الصوتيين" ، وهو: نَغْمة الحنجرة، ونغْمةُ الحنجرة تعنى الجهر .



و"كلمـة مجهـور معناهـا في الحقيقـة، في الفرنسـية: رنّـان، وكلمـة مهموس تعني: مخنوق".

يقول الدكتور/ أحمد مختار عمر عن فسيولوجية عملية الجهر وأثرهـا السمعي: "قد تأخذ فتحة المزمار وضع التذبذب، وهو وضع الجهر.

وفي هذا الوضع: تُجذب الحبالُ الصوتية في وضعِ تلامُسٍ، ثم يباعـدِ بينهما بقوة من الأسفل إلى الأعلى: التيارُ الرئوى الهوائى المتدفق خـلال فتحة المزمار. وتتكرر عملية الملامسة والتفريق مكونة ذبذبة. وهذا الغلـق والفتح المتكـرر، أو ذبذبـة الأوتـار الصـوتية: يشـكل العمليـة المسـماة (تصويت)، ويُنْـتجُ مـا يسـمى فنيـا بـالجهر، ويسـمى الصـوت حينئـذ: مجهورًا.

وتعد ذبذبة الأوتار الصوتية – كذلك – مصدر درجة الصوت، والمادةَ المُشَكِّلة للتنغيم".

هذا، وصفة الجهر – كما هو مقرر في علمى التجويد والأصوات مـن صفات القوة التي تزيد الصوت وضوحا في السمع في نهاية المطاف.

"فالأصوات المجهورة: فيها اهتزاز الـوترين الصـوتيين في أثنـاء نطـق الصوت المجهور، وهـو أمـر زائـد علـى الغلـق والفـك (الـذي يعطينـا التصويت)، لذا كان الجهر صفة من صفات القـوة، والهمـس صـفة مـن صفات الضعف، وكان الصوت المجهور – بالتالى – أقوى مـن الصـوت المهموس".

وفي ظنى: أن عدد الذبذبات التي كانت تصدر من الـوترين الصـوتيين مصاحبة لنطق العين لدى القدماء العرب كانت أكثـر ممـا هـى عليـه الآن لدى المحدثين منهم.

كما أرجح أن الجهر مع هذا الصوت كان زائدًا، والرنينَ قويا، والصوتَ أكثر نقاءً مما هو عليه الآن نتيجة ترشيحٍ وتقوية تلك النغْمات التوافقية التي تصدرها الحنجرة في الفراغات الرنانة فوقها.

وهذا هو معنى نصاعة العين أو نصوعها كما ذكر القدماء.

فالنصاعة تعنى – في لغتنا – النقاء والخلوص من الشوائب، والصفاءَ والوضوح.

يقول معجمنا الوسيط في مادة (نصع):

نصع الشيءُ ينصَع نُصوعا ونصاعة: صفا ووضَح. يقال: نصع لونُه، ويقال: نصع الأمرُ: وضَح وبان، ونصع الحقُ: ظهر وتجلّى، ونصع فلان: ظهر ما فيه، ونصع بالحق: أقر به وأدَّاه.

وناصَعَهُ الخبرَ: ذكره خالصا من الالتباس والكذب.

والناصع: الخالص الصافي. يقال: أبيضُ ناصعٌ، وأحمر ناصع. ويقال: حق ناصع ظاهر، وحَسَبٌ ناصع: خالص من كل لؤم.

والنَّصّاعُ: مبالغةُ ناصع. يقال: أحمر نصّاعٌ، وحُمرة نصّاعة.

والنّصْع: كل جلد أو ثوبٍ شديدِ البياض.

والنَّصيع: الخالص البالغُ حدَّه من الألوان، والصافي. يقال: شربنا ماءً نصيعا.

وفي مضمار ما يسمى بالرنين الأكوستيكى أو الفيزيقى (الانتقالى) يقول الدكتور/ سعد مصلوح: "يقوم تصنيف الأصوات اللغوية على



معيارين، هما: وجودُ أو انعدام النغمة الحنجرية، ونشاط فراغات ما فوق الحنجرة.

ولقد أشرنا من قبل إلى أن نغمة الحنجرة تتكون من عدد هائل من التوافقيات، مما يجعلها عُرضة – عند مرور الهواء المهتز – خلال فراغات ما فوق الحنجرة للترشيح والرنين والتقوية، وذلك لما تتمتع به هذه الفراغات أو معظمها من قدرة كبيرة على تغيير شكلها أو حجمها بمعدل سريع أثناء الكلام.

إن اهتزاز الوترين الصوتيين وحدوث نغمة الجهر: يؤدى إلى اضطراب الهواء أثناء مروره من الفراغات العليا، وحينئذ: يتضح المقابل الأكوسيتكى للارتباط بين درجة انفتاح ممر الهواء أثناء النطق وبين تصنيف الأصوات إلى صوائت وصوامت.

فكلما كان الممر أقرب إلى الانفتاح، وانعدمت الموانع المؤثرة في طريقه كان الصوت الناتج رنانا resonant، حيث تعمل الفراغات العليا عند النطق به على تشكيل غرف الرنين التي تكيف نغْمة الحنجرة وتعدّلها، دون أن تضيف من جانبها أي تدخل مؤثر بتضييقها الشديد لممر الهواء. أما عندما يضيق الممر بانغلاق جزئى أو متقطع – مع استمرار حدوث الجهر وانطلاق الهواء- فإن الرنين الناتج لن يكون رنينا خالصا، بل سينضاف إليه عنصر ضئيل من الضجيج noice، ومن ثم: تُسمى الأصوات الناتجة نصف رنانة semiresont، وكلما زادت شدة التضييق أو أُحْكِمَ القَفْلُ زادت نسبة الضجيج وانعدم الرنين بحيث يمكن وصف الصوت الناتج بأنه غير رنان non resonants.

وبناء على هذا التصنيف الفيزيقى أو الاكوستيكى: تُعْزَى الأصوات الرنانة إلى طائفة الصوائت، على حين تعزى الأصوات نصف الرنانة وغير الرنانة إلى طائفة الصوامت".

ويقول في موضع لاحق أيضًا عن الجُزَم المكوِّنة للصوت، وأنها بمثابة قضبان الرنين: "ذكرنا أن النغْمات المركَّبةَ – كنغمة الحنجرة – تمتاز بخاصيتى دورية الذبذبات والتكوين التوافقى، حيث تتكون من تردد دَوْرى يمثل نغمة الأساس، وترددات توافقية هى مضاعفاتٌ لنغمة الأساس.

وحين يفتقد الصوت المركب صفتيْ دورية الذبذبات والتكوين التوافقى: يصبح من قبيل الضجة noise التي يدخل في تكوينها جميع الترددات، وليس الترددات التوافقية فقط. ويمكن أن يكون الصوت خليطًا من النغمة والضجة، وحينئذ: تتوقف الكيفية التي يتم بها إدراكه على نسبة المكونات، وتوزيع القوة عليها.

وتعتبر النغمة الحنجرية هى المصدر الوحيد لعنصر النغمة في الكلام، وهى المسئولة عن تحديد درجة صوت المتكلم بواسطة تردد نغمة الأساس، وعن التنغيم بواسطة ما يطرأ على نغمة الأساس من تغيرات، وعن تكوين الصوائت والانطلاقيات نصف الرنانة، بحيث يهبط انعدامها بدرجة إسماع هذه الأصوات – نعنى الرنانة ونصف الرنانة - إلى درجة الصفر أو ما يقاربه".

هذا، "وقد أكد الخليل صفة نصوع العين هذه، حيث وصفها بالطلاقة وضخامة الجرْس، ولعل قوله (ولولا بُحَّةٌ في الحاء لأشبهت العين) يشير إلى تميز الحاء بالجفاف، وأن العين تعتبر بضدِّ ذلك رَطْبَة.

وكانت عبارة الأزهرى أقوى، حيث قال: أما العين: فأنصع الحروف جَرْسًا، وألذها سماعا. وعبارة ابن جني: لنصاعة العين، ولذاذة مستمعها".

هذا، وإذا كانت "الهاء أخفي الحروف: فإن العين أنصعها" ، بل "يوازى نصوعُ العين صوتَ الهمزة المحققة في القوة" .

ولعل هذا هو السبب الرئيس لكون الخليل يبدأ معجمه المسمى بالعين بهذا الصوت القوى الواضح!

يروى السيوطى في (المزهر: ١/٤٥) عن ابن كيسان، قال: سمعت مَنْ يذكر عن الخليل أنه قال: لم أبدأ (معجم العين) بالهمزة لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا في فعل إلا زائدة أو مبدلة، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها، فنزلتُ إلى الحيز الثانى وفيه العين والحاء، فوجدت العين أنصعَ الحرفَيْن فابتدأت به ليكون أحسنَ في التأليف" .

أما صوت العين اليوم: فقد أصابه نوعان من التطور.

١ – فقد أصبح على ألسنتنا رخوا (احتكاكيا) بعد أن كان متوسطا بين الشدة والرخاوة.

٢ – ضَعْفُ الجهر والرنينِ فيه.

ويمكننا القول: إن صوت العين اليوم قد صار الاحتكاك فيه احتكاكا ضعيفا ينتج عن المناطق التي تعلو الأوتار الصوتية، بعد أن كان مجهورًا رنانًا يَنْتُجُ الاحتكاكُ فيه عن طريق الأوتار الصوتية ذاتها.

وأصبح المُكَوِّنُ الأعلى له فيزيائيا من ذبذبات الأوتار الصوتية أقلَّ عددا، والطاقة التي تنتجه موزعة بين الموجات جميعًا توزيعا اعتباطيا لا يجعلها تظهر في شكل حُزَمٍ تكوينية كما هو الحال في الأصوات المجهورة.

وليس معنى ذلك: أن العين لم تَعدْ تسمع على ألسنة المحدثين بدرجة من الوضوح كافية، بل إنها تُسمع بصورة مقبولة، ولكن من خلال بذل جهد من الطاقة معها وهي احتكاكية (رخوة) حتى نعوّض ما فُقِدَ من تلك الطاقة معها كما كانت متوسطة (ضيقة المخرج نسبيا) لدى الأقدمين.

غاية ما في الأمر: أن الذي أصاب صوت العين من تطور على ألسنة المحدثين إنما يتمثل في ضعف الرنين الذي أدى إلى اضمحلال النقاء وقلة الوضوح السمعي لها، فأصبحت مفتقدة لصفة النصاعة التي كانت تتميز بها في القديم.

أما أن صوت العين الآن قد أصبح رخوا على ألسنة المحدثين: فذلك ما تؤكده التجارب المعملية.

ففي المقارنة بين صوت العين والحاء، نرى (كانتينو) يعبر عن سبب رخاوة العين حديثا بأنه انقباض جداري الحلق عند نطقها انقباضا شديدًا، يتسبب في ضيق مجراها الآن ضيقا كبيرا.

يقول: "فإن هذين الصوتين (الحاء والعين) يُقرعان بدعْك الهواء الصاعد من الصدر بين جوانب وسط الحلق منقبضة انقباضا شديدًا.

فهما – إذنْ وفِعْلاً – حرفان رِخوان، يُقرعان من وسط الحلق في عرفنا (أي الآن)، والحاء مهموسة؛ بينما العين مجهورة" .

وينقل الدكتور/ رمضان عبد التواب عن الدكتور/تمام حسان في كتابه (مناهج البحث في اللغة) عدم عد صوت العين لدى المحدثين من الأصوات المتوسطة، وسببَ ذلك، فيقول: "ربما كان ذلك لعدم وضوح

الاحتكاك في نطقه وضوحًا سمعيا، ولكن الأصوات المتوسطة تشترك جميعها في خصائص ليست موجودة في نطق العين، وأوضح هذه الخصائص حرية مرور الهواء في المجرى الأنفى أو المجرى الفموى دون سد طريقه أو عرقلة سيره بالتضييق عند نقطة ما.

وقد اتضح بصورة الأشعة: أن في نطق العين تضييقا كبيرا اللحلق، وهذا ما يدعونا – وما دعا غيرنا من المحدثين قبل ذلك – إلى اعتبار صوت العين رِخوًا لا متوسطا".

وإلى مثل ذلك ذهب الدكتور/أحمد مختار عمر، الذي قرر ما سبق للدكتور تمام حسان، ثم زاد عليه وجهة نظر أخرى لعدّ صوت العين رخوا لا متوسطًا، قال: "اتفق القدماء على وصف العين بأنها من أوسط الحلق، وأنها المقابل المجهور للحاء، ولكنهم فرقوا بينها وبين الحاء من ناحية وصفهم للعين بأنها بين الرخوة والشديدة، وللحاء بأنها رخوة، وضموا إلى العين في وصف التوسط أصواتا أخرى، هي: اللام والنون والميم والراء، وزاد بعضهم: الياء والواو.

ثم تساءل فقال: "فماذا يفرق العين عن نظيرها المهموس: الحاء، سوى الجهر"؟ وأجاب: "لا نجد في وصف القدماء للصوتين ما يعين على تصور هذا الفرق، وكذلك فإن التحليلات الحديثة القائمة على تسجيلات جهاز (الاسبكتروجراف) لم تعط نتائج نهائية قطعية، كما أن الفحص بأشعة (إكس) لم يعط نتائج واضحة، كما سبق أن ذكرنا.

ولكن صور الأشعة – كما يقول الدكتور تمام حسان – قد أوضحت أن في نطق العين تضييقا كبيرًا، مما يحتم جعلها رخوة لا متوسطة".

ثم أعاد السؤال مرة ثانية، بقوله: "فماذا - إذن – الفرق الذي لاحظه القدماء بين الحاء والعين سوى الجهر"؟

وفي إجابته المهمة على هذا السؤال معتمداً على ما قاله كل من الدكتورين: عبد الرحمن أيوب، وكمال بشر، يقرر: "يبدو أن هذا الفرق يتمثل فيما قال الدكتور أيوب من الفرق بين الانطلاق الاحتكاكي المهموس والانطلاق الاحتكاكي المجهور، وهو:

أ – أن الأول يتميز بأن الذبذبات الصوتية التي تصحبه لا تنتج عن الأوتار الصوتية، بل عن احتكاك الهواء بالمناطق التي تعلو هذه الأوتار، وبذلك لا تكون هذه الذبذبات وَتَرِيَّةً كالتي توجد عند الجهر.

ب – أن الطاقة التي تنتج الانطلاق الاحتكاكي المهموس تكون موزعة بين الموجات جميعًا توزيعا اعتباطيا لا يجعلها تظهر في شكل حزم تكوينية كما هو الحال في الأصوات المجهورة.

وتحظى الموجات العليا في حالة الأصوات المهموسة – على عكس الحال في الحركات والسواكن المجهورة – بنصيب كبير من الطاقة يجعلها أكثر وضوحا في الرسم من الموجات السفلى.

ج – أن الاحتكاك المجهور يكون – في العادة – أضعف من الاحتكاك المهموس، وذلك لأن ذبذبة الأوتار الصوتية تكسبه سماعًا عاليا لا تحتاج معه إلى بذل الطاقة التي نبذلها لرفع درجة إسماع الأصوات الاحتكاكية المهموسة.

ويخلص الدكتور/أحمد مختار عمر إلى تصوره الخاص به في مسألة التفريق بين العين والحاء من جهة، والسبب في عدِّ العين صوتا رخوا لا

متوسطا بين الشدة والرخاوة من جهة أخرى، فيقرر: "وعلى هذا يمكن القول: إن الفرق الأساسى هو: أن الاحتكاك في العين أقل منه في الحاء، وربما كانت العين – كما يقول الدكتور بشر- أقل الأصوات الاحتكاكية احتكاكا على الإطلاق".

وخلاصة مسألة الشدة والرخاوة والتوسط في أصواتنا العربية، تتمثل لدى المحدثين من علماء الأصوات في: "أن الأصوات الشديدة هى المجموعة في قولهم (أَجِدُكَ قَطَّبْتَ)، وأن الأصوات الرخوة هى ما عدا الأصوات الشديدة وما عدا الأصوات المتوسطة التي هى (لِنْ عُمَرُ) دون العين، أي أنها ستة عشر صوتًا، هى: الثاء - الحاء - الخاء - الذال - الزاي - السين - الشين - الصاد - الضاد - الغين - الفاء - الهاء - الياء - الواو- الألف - الظاء".

"وأما الأصوات التي سماها القدماء: المتوسطة، فقد عالجها المحدثون تحت أسماء وصفات وألقاب خاصة: فاللام من قولهم (لن عمر): جانبية، والنون والميم: أنفية، والراء: مكررة".

وهنا نجد أنفسنا أمام أمرين:

أولهما: أن يكون القدماء من علماء العربية قد أخطأوا في عدِّهم العينَ من الأصوات المتوسطة، وهذا أمر وارد، ومَثَلُهم في تلك الحال كمثلهم في اضطرابهم حول صوت الهمزة، كما هو معروف.

ثانيهما: أننا إذا أحسنا الظن بهؤلاء القدماء- وهذا هو الأفضل- فينبغي أن نبحث عن فهم مناسب لعملية التوسط بين الشدة والرخاوة هذه.

وفي ظني: أنه ما دامت الشدة تعنى حبس النفس المصاحب للصوت اللغوي عند نقطة معينة في جهاز النطق ثم إطلاقَه، والرخاوة تعنى حبس

النفس: فإن التوسط بينهما يكون لتضيق المجرى فقط، دون غلقه بالكلية، ودون فتحه على مصراعيْه. "وإذا كان الضيق ليس شديدا: فذلك الصوت المتوسط".

على أن هذا التضييق لمجرى هواء التنفس يكون محدودا مع أصوات، ويكون كبيرا مع أصوات أخرى.

فهو محدود مع الأصوات التي سماها القدماء بالمتوسطة ومنها العين كما كان يُنطق بها لديهم، بينما زاد هذا التضييق لدى المحدثين في نطقهم لتلك الأصوات. "فالشدة والرخاوة أمرُ نَفَسٍ يُحْبَسُ حين نطق الحرف، أو يُطْلَق". وبالتالى: يكون التوسط حالة وسطى بين تَيْنِكَ الحالَيْن.

وبعبارة أخرى: إن ممر الهواء مع ما يسمى بالأصوات المتوسطة قديمًا قد كان متسعًا بعض الشيء عما هو عليه الآن لدى المحدثين.

وقد أدّى هذا إلى زيادة نسبة الإسماع للمجموعة المتوسطة (لن عمر)، بدليل تصنيف الأصواتيين لهذه المجموعة مع الأصوات الصائتة أو بعدها مباشرة، بحيث تصبح أصواتها: لم يَرْوِ عَنَّا، أو لَمْ يُرَوِّعْنا.

أما المحدثون: فقد زادوا في تضييق وسط الحلق كما زادوا في انقباض جداره الخلفي، فأصبح العين رخوا بعد أن كان متوسطًا.

يقول الدكتور/ مصلوح في الأساس الذي يقوم عليه تصنيف الأصوات إلى صوامت وصوائت "تتميَّزُ الصوامت نطقيا: بأن ممر الهواء أثناء إصدارها يكون ضيِّقا، وقد يأتي هذا التضييق على هيئة قَفْلٍ تام أو جزئى أو مُتَقَطِّع لممر الهواء.



وأما الصوائت: فيكون ممر الهواء أثناء النطق بها مفتوحًا، وتنعدم أنواع الاعتراضات أو العقبات من طريق تيار الهواء، وينشأ عن انعدام الاعتراضات: أن ينعدم وجود أي احتكاك يصاحب النطق.

غير أن هذه المقولة تثير بعض المشكلات، ولا تصلح معيارا صارما للتمييز بين هذين النوعين على مستوى لغة بعينها.

ومثال ذلك في العربية: صوت العين، الذي نعتقد من خلال المعطيات التجريبية: أنه - ولا سيما في النطق المعاصر- أقربُ إلى أن يكون صائتا لا صامتا، ولعل ذلك ما جعل كثيرًا من علماء السلف يضعونه في الطبقة التالية مباشرة لأصوات المد التي سموها بالأصوات المتوسطة، لكن هذا الصوت ما يزال يُعْزَى – من حيث الوظيفة – إلى طائفة السواكن".

وعلى ذلك: يكون ترتيب هذه المجموعات الثلاث – من حيث الوضوح السمعى – ترتيبا تنازليا كالآتى.

١ – أصوات المد واللين: الألف والياء والواو، ومقارِبُها: اللام والنون والعين والميم والراء.

٢ – الأصوات الاحتكاكية أو الرخوة، وهى ما عدا ما سبق، وما عدا ما يلحق، وعددها ثلاثة عشر، هى: الثاء- الحاء- الخاء – الذال – الزاي – السين – الشين – الصاد – الضاد – الظاء – الغين – الفاء – الهاء.

٣ – الأصوات الانفجارية، وهى: الهمزة، والجيم، والدال، والكاف، والقاف، والطاء، والباء، والتاء.

هذا، وقد لاحظت بسمعي في أثناء تواجدى بالملكة العربية السعودية معارا للتدريس بها – وما زلت ألاحظ عن طريق الفضائيات– ما يمكن أن يطلق عليه: نقاء صوت العين أو نصاعته أو نصوعه عنه في بلدان أخرى.

والذي أرجحه في ذلك كما سبق: أن هذا راجع إلى توسيع ممر الهواء مع العين نسبيا، مع زيادة عدد الذبذبات الصوتية المصاحبة لنطقه، تمامًا كما كان الحال لدى العرب قديمًا.

ذلك " أنه يمكن مضاعفة نغْمة التجويف عن طريق تصغير الحجم، أو توسيع الفتحة" ، حيث "إن تجميع الأصوات تبعا لدرجة إسماعها – كما فعل يسبرسن – هو تجميع على أساس درجة الانفتاح في أعضاء التصويت، فالحركة أكثر وضوحًا وأكثر انفتاحا من الصامت، والصامت الانغلاقي الشديد أكثر إغلاقا وأقل وضوحًا من الصامت الاحتكاكي" .

أضف إلى ذلك: أنه "كلما كان تردد الوترين الصوتيين كبيرا: كانت النغمة عالية، والعكس: صحيح" ، " والتردد الأساسي: هو الذي يحدد علو النغمة الموسيقية" . "وحين يتذبذب وترٌ مّا: فإنه عندئذ لا يُوَلِّد فقط العنصرَ الرئيسي الذي هو النغمة الخاصة بالوتر كله، بل إنه يولد – كذلك – مجموعة من النغمات التوافقية تمثل تردداتُها مضاعفاتٍ كاملةً لمجموعة الوتر كله" .

هذا، "ومن المكن أن تُقَوَّىَ– بمساعدة الرنين – أيُّ تردد ينطوي عليه صوت مَّا، ومن ثم نعدّل طابَعَه، فإذا تمت تقوية الأصوات التوافقية العالية: فسنحصل على صوت ذى طابع صاف claire، وإذا كانت النغمة الاساسية أو النغمات التوافقية المنخفضة مُقَوَّاةً: فإن النغمة تصبح رزينة.

إن هناك آلية تعمل في تقوية بعض الترددات لصوت ما، في حين تُضْعِفُ الترددات الأخرى، وتسمى في علم الأصوات الفيزيقى المرشِّح Filter .



فبمساعدة تحركات الحلق واللسان والشفتين ومنطقة سقف الحنك: نستطيع أن نُعَدِّل شكل التجاويف المختلفة وحجمَها في جهازنا المُصَوِّت.

ومن هنا: ينشأ التأثير الرنينى الذي تمارسه هذه الأعضاء على الصوت الناشئ في الحلق". "ويطلق على الترددات التي تميز طابع صوت مّا: المُكَوِّناتِ أو الحُزَم". "وبما أن الحزم- تبعًا للتعريف السابق للخاصية الصوتية الفيزيائية المعروفة بالنغمات - يجب أن تشتمل على نغمات توافقية تابعة للنغمة الأساسية: فإن ذلك يستتبع ألا يتوافق تردد الحزمة الأساسية دائما مع تردد النغمة التوافقية". "وذلك: أن تعدد النغمات الأساسية: يَتْبعه تعدد النغمات التوافقية "

ومثل هذا التفسير لاختلاف صوت العين لدى المحدثين عنه لدى القدماء: راجع إلى مسألة تطور ذلك الصوت على مدى التاريخ الطويل للغتنا .. وذاك أمر لا تخلو منه لغة من اللغات ومنها فصحانا العربية كما هو مقرر معروف. "فلقد اختلف الأقدمون والمحدثون في تحديد مخارج بعض الحروف وصفاتها، وهذا الاختلاف – في أغلب الظروف– ناشئ عن تطور أصوات تلك الحروف على المدى الطويل الذي مرت به اللغة العربية بين الأجيال المتعددة". وتتمثل هذه الأصوات التي أصابها ذلك التطور في: الهمزة – القاف – الجيم – الطاء – الضاد" ، ثم العين.

وأما من حيث قوة الرنين وضعفه: فإننا نجد أن الأصوات اللغوية "تنقسم إلى قسمين. قسم يمتاز بقوة الرنين، ويسمى Resonant أي: صوت رنينى، وقسم يمتاز بضعف الرنين أو انعدامه، ويسمى obstrwents.

وتشمل الأصواتُ الرنينية: الحركات، وأنصافَ الحركات وهي: اليـاء والواو (المفتوح ما قبلهما)، والأصوات المتوسطة" .

ولعل نصاعة العين في نطقها القديم وما بقي منها حديثا يشبه ما نسمعه الآن فيما يعرف ببعبعة الجَمَل، وهي عبارة عـن: تـردد صـوته في حلقـه عدة مرات حين خروجه.. أخذاً من قولهم: "بَعَبَع الماءُ، بمعـنى: صـوّت حين يخرج من إنائه متتابعا" .

والخلاصة: أن وصف القدماء لصوت العين بأنها انطلاقية ناصعة يقوم على دِعامتيْن، هما:

١- مدى انفتاح مجرى الصوت أثنـاء النطـق، وقـد وَضَـح أنـه كـان واسعا مما عليه الحال الآن.

٢- عامل الرنين المتمثل في الجهر النقيِّ لهذا الصوت.

رابعا: بُحّةُ الحاء



سبق في (التمهيد) لكتابنا هذا نصٌّ لغوي للخليل في التفريق بين العين والحاء يقول فيه: "ولول بُحَّةٌ في الحاء لأشبهتْ العين لقُرْب مخرجها من العين"

ونص آخر لابن جني ينص فيه على هذا المعنى أيضًا، حيث يقول: "ولولا بُحَّة في الحاء لكانت عينا" .

مخرج الحاء

الحاء والعين: من وسط الحق، كما هو معرف.

وينطقان في لسان العرب من خلال التضـييق المناسـب لهمـا مـا بـين جدارى الحلق الأمامى والخلفي.

قال الخليل: "فالعين والحاء والهاء والخاء والغين: حلقية؛ لأن مبدأها من الحلق" . وقد جمع علماء التجويد تلك الأصوات والهمزة في قـولهم المشهور:

همز فهاء، ثم عين حاء   مهملتان، ثم غين خاء

ويقول (جان كانتينو) في كيفية صـدور هـذين الصـوتين مـن الحلـق، ومظهر التفريق بينهما: "فإن هـذين الصـوتين يُقرعـان (يخرجـان) بـدعك الهواء الصاعد من الصـدر بـين جوانـب وسـط الحلـق منقبضـة انقباضـا شديدًا.

فهما - إذن وفعلا - حرفان رخوان، يُقرعان من وسط الحلق في عرفنا (أي حديثا)، والحاء مهموسة، بينما العين مجهورة" .

ويشرح أستاذنا الدكتور/ جبل عملية خـروج صـوت الحـاء ممـا بـين جدارى الحلق وما يحيط بهذه العملية فسيولوجيا، فيقول: "وأمـا الحـاء: فإنها تتولد باحتكاك الهـواء بجـدران الحلـق، وبخاصـة في أعـلاه، دون اللهاة وما حولها، ويُلحظ تراجع الحنك الرخـو إلى الخلـف وإلى أعلـى معا، بحيث يمثل امتدادًا حقيقيا للحلق كما يحدث مع الهاء، ولكن هـذا التراجع يستمر مع الحاء أكثر مما هو مع الهاء.



وهذه الصورة لنطق الحاء: تبين أن مخرجها من أطول المخارج وأكثرها فراغًا أو اتساعا أيضًا، ولا يضارعها في ذلك إلا الهاء، ولكن خفاء الهاء – لعدم احتكاك هوائها بجدران الحلق – يقلل من الإحساس باتساع مخرجها وامتداده.

هذا، ولامتداد مخرج الحاء: تشترك معها فيه حروف كثيرة كالهاء على ما وصفنا، ومخرجُ العين جزء من وسطه، ومخرج الخاء جزء في أعلاه أي: أدناه من الفم، وهذا يفسر اختلاط كل منهما بالحاء في نطق الأعاجم".

صفات الحاء

أما صفات الحاء المقررة التي تتميز بها قديما وحديثا، فتتمثل في أنه: صوت رخو، مهموس، مستفل، منفتح، مصمت.

وعلى ذلك: فالحـاء صـوت حلقـى، رخـو (احتكـاكي)، مهمـوس، مستفل (مرقق) منفتح (غير مُطْبَق)، مصمت.



بُحّةُ الحاء

يُنطق لفظ (بُحة) بضم الحاء. وضبطها الدكتور عبدالصبور شاهين بالفتح!

يقول المعجم الوسيط في مادة (بح):

بَحَّ يَبَحُّ بَححًا وبَحاحةً وبُحوحة وبُحاحا: غلُظ صوته وخشُن، فهو أبحُّ، وهى بحَّاء. والجمع: بُحّ.

وأبحّه الصِّيَاحُ وغيرُه: أحدث له بحة. ويقال: ما زلت أصيح حتى أبحَّني ذلك.

والأبحُّ: السمين، والوَتَر الغليظ الصوت من أوتار العود. وعَظْم أبحُّ: كثير المُخ. والجمع: بُحٌّ.

والبحُاحُ: غِلَظُ الصوت وخشونتُه من داء.

والبُحَّةُ: غِلَظُ الصوت وخشونته من داء أو كثرة صِياح أو تصنُّعٍ في غناء. وقد يكون خِلْقَةً.

ويتضح من استعراض هذه المادة اللغوية وتقلباتها: أن البحة على وجه العموم تدور حول غلظ الصّوت وخشونته الذي يكون خِلْقَةً أو تصنعا، وهو عيب في النطق على كل حال.

أمّا بحّة الحاء خاصّة: فهى صفة صوتية تلازم الصوت لدى كل الناطقين بالعربية، وهى التي تميز بينه وبين صِنْوه في المخرج وهو العين، وبالتالي: فليست عيبا في النطق، بل هي خَصِيصة من خصائصه.

يقول الخليل في التفرقة بين الحاء والعين: "ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين، لقرب مخرجها من العين".

يريد: في اللفظ والسمع.

وقد فطن ابن جني أيضا إلى هذا الفرق بين الصوتين، فقال: "ولولا بحة في الحاء لكانت عينا، ولأجل البحة التي في الحاء: ما يكررها الشارق في تنحنحه. وحُكِيَ أن رجلا من العرب بايع أن يشرب عُلْبَةَ لبن ولا يتنحنح، فشرب بعضه، فلما كَظّه الأمرُ (أي: غلبه السُّعال) قال: كبش أملح، فقيل له: ما هذا؟ تنحنحت! فقال: من تنحنح فلا أفلح، وكرر الحاء مستروحا إليها؛ لما فيها من البحة التي يجرى معها النَّفَس، وليست كالعين التي تحصر النفس".

وتأتى البحة في الحاء نطقيا عن طريق الاحتكاك الشديد، والدعك - كما عبرّ (كانتينو)- بما سمى تشريحيا: بالعظم اللامى أعلى الحنجرة.

يقول شيخنا الدكتور جبل : ف "للنطق بها: يندفع الهواء من الرئتين، فيمر بين الوترين الصوتيين غير زامر، لانفراج ما بينهما، ويتراجع الحنك الرخو بحيث تستقيم قناة الحلق ويستوى باطنها، فيحتك الهواء بجدران الحلق احتكاكا نسمع منه صوت الحاء.

ويمكن إثبات هذا الاحتكاك بإحداثه – عند إصدار الهاء – بالضغط على العظم اللامى فتسمع صوت الحاء، وذلك الاحتكاك هو الذي يميز صوت الحاء بالبحة".

هذا، "والعظم اللامى هو قوس عظمى على شكل حرف A تقريبا، قاعدتهُ إلى الجانب الأمامى من الرقبة، وطَرَفاه إلى الداخل، وهو يشكل امتدادًا إلى أعلى الجدار الأمامي للحنجرة، مع أنه لا يرتكز عليه، وإنما يربطه به نسيج رقيق. كما أن العظم اللامى يشبه القاعدة للسان. وهذه التسمية استعملها ابن سينا في رسالته عن (أسباب حدوث الحروف: ٧/ ٨) نسبة إلى شكل حرف اللام في الكتابة اليونانية".

ويُعد هذا التقرير الفسيولوجى من أستاذنا الدكتور/ جبل مخالفا بعض الشيء لما ذهب إليه الرئيس ابن سينا، الذي يقول في الفرق بين العين والحاء تشريحيا: "والحاء مثل العين. إلا أن فتح الذي لا اسم له (لسان المزمار) أضيق، والهواء ليس يَحْفَزُ على الاستقامة حفزا، بل يميل إلى خارج حتى يَقْسِرَ الرطوبة ويَهُزَّها إلى قُدَّام، فتحدث من انزعاجها إلى قُدَّام هيئة الحاء".

فابن سينا ينص على أن الهواء مع الحاء لا يحفز في الحلق حفزا مستقيما، وأستاذنا يقرر أن قناة الحلق تستقيم، ويستوى باطنها.

ولعل الحق مع أستاذنا الدكتور/ جبل؛ لأنه مؤسس على التشريح الحديث للحنجرة، وهو أدق – ولا شك – مما كان لدى القدماء.

هذا، ويكمن الفرق بين بحة الحاء عامة وهى صفة ملازمة لها في النطق العادى وبين البحة الخاصة بوصفها ظاهرة نطقية مَعِيبة – في أن الأولى تختص بالضغط على العظم اللامى مع الحاء فقط، بينما تشيع الثانية في الحاء وفي غيره من الأصوات لدى بعض الناطقين مما يعد عيبا في كلامهم خاصة دون غيرهم من ذوى النطق العادي. "ولعل قول

الخليل السابقَ: ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين: يشير إلى تميز الحاء بالجفاف، وأن العين بضد ذلك رَطْبَةٌ".

أما الذي يميز صوت العين عن صوت الحاء -وهما من وسط الحلق كما سبق- فيتمثل في أربعة مظاهر:

١ – اتساع مخرج العين نسبيا عنه في الحاء، كما مر في قول ابن سينا عن الأخيرة: (إلا أن فتح الذي لا اسم له (لسانِ المزمار) أضيق.. وبالتالى: فالعين متوسطة، والحاء رخوة، وهذا هو السبب في وصف العين بالطلاقة كما أوضحنا في موضعه.

٢ – اختلاف جَرْسَيْ صوتيْهما. "فالعين ناصعة، والحاء بَحَّاء"، وذلك لرطوبة مخرج الأولى، وجفاف مخرج الثانية.

٣ – أن العين مجهورة، بينما الحاء مهموسة.

٤ – أن العين أعمق مخرجا من الحاء في وسط الحلق، أما الحاء فأرفع منها، أي أدنى إلى الفم.

يقول الخليل في الجزئية الأخيرة: "فأقصى الحروف كلها: العين ثم الحاء، ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين.

ثم الهاء، ولولا هتة في الهاء – وقال مرة: هَهَة – لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء. فهذه ثلاثة أحرف من حيز واحد، بعضها أرفع من بعض. ثم الخاء والغين في حيز واحد. كلهن حلقية".

ويقول أستاذنا الدكتور/ جبل في تحقيق ذلك "والعين والحاء تخرجان من وسط الحلق، والعين أعمق كما لاحظنا ذلك بالذوق (أي تجربة نطق

الحروف مع استعمال المرآة)، لأن منطقة انزلاق صوتها وتكوينه أعمق وأدخل من منطقة احتكاك الهواء في الحلق لإخراج صوت الحاء. وجمهور القدماء والمحدثين من علماء الأصوات على أن العين أعمق، ولم يخالف عن ذلك إلا قليل منهم" .

هذا، ومن قبيل ما نحن فيه: ما يسمى بالوحوحة. والوحوحةُ: حكاية صوت به بَحَحٌ .

يقول السيوطي في ذكر عجائب مصر قديمًا: "وجبل الطير بصعيد مصر الأدنى مُطِلٌّ على النيل (مركز سمالوط محافظة المنيا الآن) مقابلَ مُنْيَة بنى خَصِيب. قال في السُّكْرُدَان: به أعجوبة لم يُرَ مثلُها في سائر الأقاليم، وهى باقية إلى يومنا هذا.. وذلك أنه إذا كان آخرُ فصل الربيع: قدم إليه طيور كثيرة بُلْقٌ سود الأعناق مُطَوَّقات الحواصل سودُ أطرافِ الأجنحة، في صِياحها بَحَاحة، يقال لها: طير الْبَحّ" .

ولعل تلك التسمية لذلك الطير جاءت من سِمْنَتِه، بالإضافة إلى الجهد الناتج عن قطع المسافات الطويلة في آخر الربيع وأوائل الصيف للدفء في صعيد مصر. "ومثل ذلك: تسمية البط في عاميتنا: البَحَّ، لصدور ذلك الصوت منه (البحح) ، وربما وجدنا له أصلا في العربية، فإن الأَبَحَّ: السمين" .

وقريب من هذه أيضًا: ما يسمى حمحمة الفرس، وهو صوتُ صدره في المعارك خاصة، كما قال عنترة عن جواده في الحرب:

* وشكا إليّ بَعَبْرَة وتَحَمْحُمِ *

إذ يقال: "حمحم الفرس: ردّد صوتَه في صدره دون أن يرفعه، فيكون صوته أشبه بالبحة التي نجدها في الحاء متلوة بالميم، لانحباس الصوت

وانقطاعه وهو يكرر ذلك، فحكاه الإنسان بالحاء والميم مكررتين، فكان اللفظ محاكيا لصوت الفرس تماما من حيث الجَرْس والتكرار".

أما ابن الأثير وابن منظور فقد عدا ما يسمى بعنعنة تميم – حيث تُبدل الهمزةُ عينا – نوعا من العيوب النطقية، هروبا مما قد يكون بَحَحًا في أصواتهم!

يقول ابن منظور: "وعنعنة تميم: إبدال العين من الهمزة، كقولهم في: أن يريدون: عن يريدون، وأنشد يعقوب (أي ابن السكيت):

فلا تُلْهِكَ الدنيا عن الدين واعْتَمِلْ لآخرةٍ لابُدَّ عَنْ سَتَصِيرُها

وقال ذو الرُّمة:

أعَنْ ترسَّمْتَّ من خرقاء منزلةً ماءُ الصبابةِ من عينيكَ مَسْجُومُ؟

أراد: أأن ترسمت؟.

وقال جِرَانُ الْعَوْدِ:

فما أبْنَ حتى قُلْنَ ياليت عَنَّنا ∴ ترابٌ، وعَنَّ الأرضَ بنا تُخْسَفُ

قال الفراء: لغة قريش ومن جاورهم: أَنْ، وتميم وقيس وأسد ومن جاورهم يجعلون ألف (أن) إذا كانت مفتوحة عينا، يقولون: أشهد عَنَّكَ رسولُ الله: فإذا كسروا رجعوا إلى الألف (الهمزة).

وفي حديث قَيْلَةَ: تحسب عَنِّى نائمة.. أي تحسب أنى نائمة.

ومنه حديث حصين بن مُشَمَّت: أخبرنا فلان عّنَّ فلانًا حَدَّثَهُ، أي: أن فلانا حدثه. قال ابن الأثير: إنهم يفعلونه لِبَحَحِ في أصواتهم".



والصحيح: أن إبدال الهمزة عينا، مما يسمى لدى تميم ومن جاورها عنعنة تميم: ظاهرة صوتية مطردة لديهم وأشمل مما ذكر ابن الأثير وابن منظور بعده، وأنها راجعة إلى الابتعاد عن الضغط والحصر في صوت الهمزة كما سبق إلى نصاعة العين التي أسلفنا الحديث عنها!

خامسا: طَلاَقَةُ القاف، وَنَصَاعَتُهَا

سبق أن أوردنا في تمهيد الكتاب عن طلاقة القاف ونصاعتها قول الخليل: "العين والقاف لا تدخلان بناء إلا حسَّنتاه؛ لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جَرْسا، فإذا اجتمعا أو أحدهما في بناء حسُن البناء؛ لنصاعتهما".



مخرج القاف

يتمثل مخرج القاف قديما في أنه: أقصى اللسان مع أقصى الحنك، باشتراك اللهاة في نطقها، مع الكاف . ولكن القاف أبعد.

وعلى ذلك: "فالقاف الفصيحة (القديمة): صوت لهْوى.

وتشترك الكاف مع القاف في المخرج كما سبق، ولكنها تختلف عنها في بعض الصفات. يقول الخليل: "والقاف والكاف لهْويان، لأن مبدأهما من اللهاة" .

ويقول سيبويه: "من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى" .

وبناء على ما سبق: "لا توصف القاف بأنها مجهورة إلا إذا كان يُقصد بها القاف التي يُنطق بها كالغين أو الجيمِ القاهرية" ، أو الهمزة!

صفات القاف

يتفق الدكتور/ رمضان عبد التواب مع الدكتور/ أنيس في عدّ القاف القديمة مجهورة، فيقول: "أما سيبويه ومن جاءوا بعده من النحويين والقراء: فإنهم يصفون القاف بأنها مجهورة. ونستنتج من وصف القدماء لهذا الصوت: أنه كان يشبه – إلى حد كبير – تلك القاف المجهورة التي نسمعها الآن بين القبائل العربية في السودان وجنوب العراق، فهم ينطقون بها نطقا يخالف نطقها في معظم اللهجات العربية الحديثة، إذ نسمعها منهم نوعا من الغين".

أما أستاذنا الدكتور/ جبل، فيضع النقاط فوق الحروف كما يقولون، مؤكدًا صدق توجه القدماء فيما ذهبوا إليه من أنها مجهورة شديدة مستعلية، فيقول: "وأما القاف الفصحى: فتخرج بالتقاء أقصى اللسان (والمقصود أعلى جِذعه) بأصل اللهاة التقاء محكما يَحْبِسُ النفس. أي أنها تخرج من مخرج الخاء والغين، إلا أنها شديدة.

وهذا التحديد لمخرج القاف الفصحى من حيث كون اللهاة هى ملتقى أقصى اللسان بها: صرح به الخليل وابن سينا وابن يعيش وشُرَيْح.

وعلل ابن جني لكسر النون في (نقِيذ) ونحوِه إتباعا لكسر القاف، رغم أن هذا الإتباع خاص عندهم بما كان حلقى العين نحو شِعير ورِغيف – بأن القاف قريبة من الخاء والغين، وتقبّل أبو على الفارسى تعليل ابن جني هذا، ووافقه عليه.

وقد عرفنا أن المحدثين أيضًا عدوا القاف لهْوية. والملاحظة والذوق المتكرر يؤيد هذا الذي قدمناه.

فنحن نرى أن عبارة سيبويه ومن تبعه في تحديد مخرج القاف بأنه (من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى) يمكن أن تفهم عبارة: (أقصى اللسان) فيها: أنها أقصى نقطة داخلية في اللسان الراقد، وهى عينها أعلى جذعه، وعبارة (وما فوقه من الحنك الأعلى): أنها نهاية الحنك الأعلى من الداخل، وهى بعينها: منطقة أصل اللهاة. وبذلك تلتقى التحديدات.

وهذه القاف: شديدة، مجهورة، مستعلية.

وقد هُديتُ إلى نطقها مجهورة حسب ما وصفها القدماء، وأمارسه وأعلمه تلاميذى، ويتوفر فيها - بهذا النطق - كلَّ ما قاله الاقدمون" .

هذا، ولا تختلف قافنا الحديثة التي نسمعها على ألسنة مجيدى القراءات القرآنية عن القاف القديمة شيئًا ذا بال، اللهم إلا أن القاف الحديثة مهموسة لا مجهورة كما كان يُنطق بها قديما، وهذا شئ من التطور الصوتي الذي أصاب هذا الصوت على مرّ العصور، مع احتفاظ القاف الحديثة بمخرج القاف القديمة وبقية صفاتها المنصوص عليها في كتب اللغة والقراءات والتجويد .

وعن هذه القاف الحديثة، يقرر الدكتور/ محمود السعران: "يتكون هذا الصوت بحبس الهواء الخارج من الرئتين حبسا كليا، وذلك بأن يُرْفَع أقصى اللسان حتى يلتقى بأدنى الحلق بما في ذلك اللهاة، ولا يُسمح للهواء بالمرور خلال الأنف، وذلك برفع الحنك اللين. يَضغط الهواءُ مدةً من الزمن، ثم يُطلق مجرى الهواء بأن يُخْفَضَ أقصى اللسان فجأة، فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا، ولا يتذبذب الوتران أثناء نطق الصّوت.

فالقاف الحديثة: صوت صامت مهموس، لهوى، انفجارى".

ويقول الانطاكى: " فالمَحْبِس اللهْوى : فيه يلتحم أقصى اللسان باللهاة. والصوت الحادث من هذا المحبس هو صوت القاف".

ويُطَوِّف بنا (جان كانتينو) مع نطق القاف قديما وحديثا، مشيرا إلى سبب قلقلتها.. فيقول: "لقد عرَّف سيبويه (٤٥٣/٢) مخرج القاف هكذا: (من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى) أي أن أصل اللسان ينطبق على غشاء الحنك. ولما كان هذا الغشاء رخوا: نتج عن ذلك: أن شدة هذا الحرف ليست كاملة، وكذلك نُطِقَ القافُ مصحوبًا بصوت خاص (هو القلقلة طبعا).

وقد رتب سيبويه والزمخشرى القاف في عداد الحروف المجهورة، فيظهر أنهما كانا يعتبرانه مجهورًا.

ولكن نطق القاف التقليدىَّ في العربية الفصحى اليوم هو نطقه مهموسا.

وبما أن قسما كبيرا من الألسن الدارجة العربية ينطق أصحابها بقاف مجهورة: أمكننا الاعتقاد- على سبيل الاحتمال والترجيح – بأن القاف كان فعلا حرفا مجهورًا في العربية القديمة، ويمكن أن يكون نطقه مهموسا في اللهجات الحضرية المدنية، لأن أغلبية المثقفين اليوم هم من أصل مدنى.

إلا أن الملاحظ أن النحاة العرب لم يعتبروه (القاف) حرفا مطبقا. على أن سيبويه (٤٨٥/٢) يذكر هذا الحرف في زمرة الحروف المانعة لإمالة



الألـف، أي الحـروفِ المسـتعلية أو المفخمـة، وبخـلاف ذلـك: فـإن اللهجات التي صارت القاف القديمـة فيهـا حرفـا مجهـورا هـي لهجـات بدوية.

ثم يقول في موضع لاحق: "وأما القاف القديمة التي بقيت في لهجـات البدو الرُحّل بشمال الجزيرة العربية كلهجـة الرَّقَّـةَ الواقعـةِ علـى الفـرات الأوسط وأغلبية لهجات الصحراء الجزائرية، ولهجة قبيلة الموالى- فتَفْزِع إلى الانقلاب غَيْنات، فكثيرا ما سمعنا هم يقولون: الغائد عِوَضَ الفائـد، وعبد الغادر عوض عبد القادر".

كما يقرر في موضع آخر: "ومن الملاحظ أن أصل بعـض القافـات في بعض لهجات بدو الصحراء الجزائرية والموريتانية هو حرف الغين".

وأُضيف : وهي لهجة أوضحُ ما تكون على ألسنة إخواننـا السـودانيين بل يتميزون بها تميزا واضحا! كما نسمعها بشيء من الوضوح على ألسـنة منطقة (البحرين) وماحولها في الخلـيج العـربي، وفي نطـق أبنـاء الـيمن الجنـوبيين، خصوصـا مـن كـان منـهم في جهـة الشـرق حيـث منطقـة (حضرموت) وما جاورها.ولعل هذه المناطق كانت هي الأصـل الأصـيل الذي هاجر منه فروع من القبائل العربيـة جهـة الشـمال (الرَّفـة) والشـرق (السودان)، والشمال الغربي (صحراء الجزائر وموريتانيا).

طلاقة القاف

يغلب على ظني: أن القاف القديمة التي وصفت لنا في كتب التراث: كانت عصية النطق بعض الشيء، نظرًا لأنها كانت تحتاج إلى مجهود عضلي، فقد كانت تخرج مما بين اللهاة من أعلى وأقصى اللسان أو جذره من أسفل، ومن هنا تطورت على ألسنة العرب كلهم، فنطقت غينا لدى بعضهم، وهمزة لدى آخرين، وقافًا قرآنية لدى فريق ثالث، وجيما قاهرية لدى مجموعة رابعة، شأنها في ذلك شأن الأصوات الصعبة مثل الهمزة والضاد والجيم والطاء!

كما كانت – ولا تزال – تُصَنَّف مع الأصوات الشديدة. "والأصوات الشديدة فيها التقاء أعضاء النطق التقاء محكما لا يُسمح فيه للهواء بالمرور، وهذا أمر أقوى وأصعب عضليا وفسيولوجيا من مجرد التضييق الذي يحدث مع الأصوات الأخرى".

فقد كان صوت القاف قديما يتكون –كما سبق - عن طريق"حبس الهواء الخارج من الرئتين حبسا كليا، وذلك بأن يُرفع أقصى السان حتى يلتقى بأدنى الحلق بما في ذلك اللهاة، ولا يُسمحُ للهواء بالمرور خلال الأنف وذلك يرفع الحنك اللين، فيَضغط الهواءُ مدةً من الزمن ثم يُطلقُ مجراه عن طريق خفض أقصى اللسان فجأة فيندفع الهواء مُحْدِثا صوتا انفجاريا".

وقد جُمِعَت الأصوات الشديدة (الانفجارية) في عبارة: (أَجِدُكَ قَطَّبْتَ)، كما هو معلوم، "وكلمة الشدة: مأخوذة من قولهم: شدَّ الوِكَاءَ والجُوَالِقَ ونحوَهما، بمعنى: ربط فمه بحبل حتى لا يخرج منه ما مُلِئَ به.

فكذلك الشِّدَّة في وصف الحرف، هـي: حـبس الـنفس كأنـه شُـدَّ علـى مخرجه فلا يَسمح بمرور الهواء". وقـد ذكـر القاضـي علـى بـن مسـعود الفَرْخَان (٤٥٨هـ) في كتابه (المستوفَى في النحو) الشدة والرخاوة، وسمى الرخوة تَسْرِيبية، وقال عن الشديدة التي بين حبس وإطلاق: لا توجـد إلا بعد حبس في مخارجها، وقبل إطلاق يطرأ عليها".

هذا، وتتمثل طلاقة القاف- من وجهة نظرى – في: انطـلاق المجـرى الهوائى بها بعد عملية الشـدة أو الانفجـار (plosovis) الـتي تصـحبها، حيث يصير ممر الهواء مفتوحا دون عوائق تعترضه.

"فالصوت الانفجارى يتكون من: حـبس + صـويت يتبـع الإطـلاق"، "ونوع انطـلاق المجـرى الهـوائى أو الانفجـار مـؤثر في طبيعـة الصـوت الانفجارى".

ذلك "أن الأعضاء الموجودة في فراغات مـا فـوق الحنجـرة يمكـن أن تقوم باعتراض تيار الهواء بكيفيات مختلفة، وينتج عنها تنوعات لا حصر لها من أصوات الكلام، ويتم ذلك بطرق، منها:

١ – تحويل مجرى الهواء إلى الأنف والفم، أو الفم فقط.

٢ – تكييف شكل وحجم الفراغات، وتعديلها.

٣ – اعتراض الهواء بالقفل التام والتسريح المتراخى.

٤ – اعتراض الهواء بالقفل التام والتسريح السريع.

٥ – تضييق مسار الهواء على نحو يُنْتِجُ احتكاكا".

ويهمنا هنا النقطة قبل الأخيرة، وهـي: اعتـراض الهـواء بالقفـل التـام والتسريح السريع، التي تمثل ما يمكن أن يطلق عليه: انطـلاق الصـوت، أو طلاقته.

وبذلك تلتقى القاف مـع العـين في وصـف الطلاقـة، مـن خـلال: أن مجرى الهواء مع العين التي تخرج من وسط الحلق قد كـان واسـعا عمـا عليه الآن لدى المحدثين، كما سبق أن رجّحنا، وأن مجـرى الهـواء مـع القاف قديما كان حرا طليقا بعد إجراء عملية الشِّدة أو الغلق، كما مرّ.

فالطلاقة هنا تعنى "انطلاق الهواء أو انفراج الأعضاء" حين النطق بهـذا الصوت وذاك. وقد "صنف القدماء من علماء الصوتيات وعلماء التجويـد الأصوات اللغوية من حيث الشدة وعدمها إلى ما يأتي:

أ – أصوات شديدة، وهي: الهمزة والجـيم والـدال والكـاف والقـاف والطاء والياء والتاء، وقد جمعت في قولهم: أجدك قطبت.

ب – أصوات متوسطة، وهي: اللام والنون والعـين والمـيم والـراء، وقد جمعت في قولهم: لن عمر.

ج – أصوات رخوة، وهي ما عدا الشديدة والمتوسـطة، وهـى الثـاء والحاء والخاء والذال والزاي والسـين والشـين والصـاد والضـاد والظـاء والغين والفاء والهاء والألف والياء والـواو، وعِـدَّتُها بـذلك: سـتة عشـر صوتا".

وللعلم، فإن "المعول عليه في تحديد الصفة التي يستحقها الصوت

اللغوي من الشدة أو الرخاوة أو التوسـط هـى: طبيعـة المخـرج ومـا يحدث فيه من غلق أو تضييق".

فإن حدث غلق محكم: كان الصوت شديدا، وإن حدث تضييق قليل: كان متوسطا، وإن حدث تضييق كبير: كان رخوا.

نصاعة القاف

تلك صفة سمعية، كانت تنتج لدى القدماء من جرّاء جهر هذا الصوت جهرا نقيا خالصا، ثم جهرِ الصويت الذي يتبعه في النطق مما يعرف بعملية القلقلة، خاصة في التلاوة المثلى للقرآن، حيث "نلمس في النطق القرآني حرصا على قلقلة الصوت الاحتباسي (كالقاف والطاء والباء) بإضافة حركة مركزية قصيرة، حتى يظل الانفجار فمويا وليس أنفيا".

إذْ "يلاحظ أن اندفاع الهواء يستمر بالضرورة زمنا محسوسا بعد انفراج العضوين المسببين للشدة أو الانفجار، ولذلك: فالصوت الانفجاري لا يتأتى نطقه النطقَ الكامل دون أن يُتْبَعَ بصوت آخر مستقل عنه، هو هذا الهواء المندفع، وهذا الصوت المستقل الذي يلى الانفجاريَّ ضرورةٌ إنْ نُطِقَ النطقَ الكامل".

هذا، "وجهر الصائت التالي للانفجاري: يبدأ لحظة الانفجار"، "وقد قرر نحاة العرب أن نطق أصوات القلقلة - ومنها القاف – نطقا واضحا حالة الوقف: يستدعى جهداً أكبر، لأنها لما كانت شديدة (انفجارية): فإن الهواء (المجرى الهوائي) محبوس حبسا تاما، ولما كانت مجهورة: فإن النفَس ممنوع من أن يجرى معها، ونتيجةً لهذا الجهد: فإنه يتبعها صوت أو صويت أو نبرة، ومن ثم: تنتقل هذه الأصوات من الوقف والسكون إلى شبه الحركة".

"والرأي: أن الصوت الإضافي في حالة ما سماه نحاة العرب حروف القلقلة: أنه مجهور".



إذ "يُشَبَّهُ بالحركة، أي: الصائت القصير، ومن الْبَدَهِيَّات: أن الصوائت مجهورة، والأرجح: أن هذا الصوت الإضافي صوت صائت مركزى ضعيف" .

ويقع هذا الصائت المركزي على المقياس رقم (٩) في مربع (دانيال جونز) الشهير لأصوات الحركة."فقد أضاف (دانيال جونز) إلى الصوائت الميعارية الثمانية صائتا مركزيا، تقع نقطة النطق به في مركز الصائت، ويمكن التمثيل له في العربية بالحركة التي تتبع النطق بحرف القلقلة في مثل الكلمة وِفاقْ wifaaq " .

يقول الدكتور/ علام في تفسير صفة القلقلة وجعلها أكثر إيضاحا: "أصوات القلقلة يحدث، فيها – علاوة على الغلق والفك– أن أعضاء النطق المشترِكةَ في نطق هذه الأصوات (قُطْبُجَدٍ) تعود ببطء إلى وضع الراحة، وهذا الإبطاء وضع فسيولوجى، ينتج عنه فيزيائيا مكونات ذبذبية من مكونات الحركة Vowel، ويسمع الصوت لا على أنه قاف صغيرة مع القاف وطاء صغيرة مع الطاء وباء صغيرة مع الباء وجيم صغيرة مع الجيم ودال صغيرة مع الدال، ولكن على أنه – كما أثبتت التجارب والتحليلات الصوتية – صوت حركة Vowel، وهى تلك التي تقع على المقياس رقم (٩)على مربع (دانيال جونز).

وهذا ما يتفق مع كلام سيبويه عن أصوات القلقلة، حيث يقول: واعلم أن من الحروف حروفا مُشْرَبَة ضُغِطَتْ عن مواضعها، فإذا وقَفْتَ: خَرَجَ معها من الفم صُوَيْت، ونبا السان عن موضعه، وهى حروف القلقلة، وذلك: القاف والجيم والطاء والدال والباء، والدليل على ذلك: أنك تقول: الْحِذْقْ، فلا تستطيع أن تقف إلا مع الصويت لشدة ضغط الحرف. وبعضُ العرب أشد صوتا كأنهم الذين يرومون الحركة" .

ويقول الدكتور محمود السعران في ذلك أيضا: "وَضَعَ نحاة العرب الأصوات العربية الانفجارية المجهورة في طبقة واحدة سموها (حروف القلقلة)، وهذه الأصوات جمعوها في عبارة (قُطْبٌ جَدٌ).

ونلاحظ أن القاف التي وصفها النحاة كانت مجهورة وليست مهموسة كما تنطق في الفصحى هذه الأيام، وكذلك شأن الطاء ، هي مهموسة في أيامنا ولكنها كانت مهجورة، أي أن نطقها القديم كان أشبه بنطقنا نحن اليوم للضاد، أما الجيم وهى ليست انفجارية في فصحانا: فقد وصفت إذ ذاك بأنها انفجارية.

وقد أدرك النحاة أن الخاصية الصوتية التي تشترك فيها هذه المجموعة من الأصوات راجعة لكونها شديدة (انفجارية) ومجهورة، هذه الخاصية هى هذا الصوت الذي يتبع هذه الصوامت عندما تكون ساكنة، والذي لا يحدث عندما يتبعها صوت صائت قصير (حركة) أو صوت صائت طويل (حرف مد ولين).

والواقع: أنه في هذه الحالة الأخيرة: يكون الصائت نفسه الصوت المستفلّ الضرورى الذي يجب أن يتبع الانفجاري عندما تُزال العقبة الحابسة للهواء، لمّا كان جهر الصائت التالي للانفجاري يبدأ لحظة الانفجار.

وقد قرر نحاة العرب كذلك: أن نطق هذه الأصوات نطقا واضحا حالة الوقف: يستدعى جهدًا أكبر، لأنها لما كانت شديدة (انفجارية): فإن الهواء (المجرى الهوائي) محبوس حبسا تاما، ولما كانت مجهورة: فإن النفَس ممنوع من أن يجرى معها. ونتيجة لهذا الجهد فإنه يتبعها صوت أو

صويت أو نبرة، ومن ثم: تنتقل هذه الأصوات من الوقف (السكون) إلى شبه الحركة".

هذا، وقد سبق الجميع في ذلك قول ابن جنى في ذلك المضمار: "واعلم أن في الحروف حروفا مُشْرَبَة تُحْفَزُ في الوقف وتُضْغَط عن مواضعها وهى حروف القلقلة، وهى: القاف والجيم والطاء والدال والباء؛ لأنك لا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت، وذلك لشدة الحفز والضغط، وذلك نحو الْحَقْ واذهبْ واخلِطْ واخرجْ، وبعض العرب أشد تصويتا".

وفي وسْم صفة الشدة أو الانفجارية بالقوة، يقول الدكتور/علام: "إن غلق الممر – ممر الهواء- في أثناء نطق الصوت اللغوي: جهد عضلى مبذول بإزاء تضييق الممر، ومن هنا: كان الغلق صفة من صفات القوة، والصوت المغلق- بناء على ذلك – أقوى من الصوت الاحتكاكى، والصوت المتوسط في منزلة متوسطة بينهما".

كما يقول أيضا عن صفة القلقلة بوصفها واحدة من صفات القوة المفردة: "إن كل صوت من أصواتها يتطلب تحركاتٍ تقطيعيةً زائدةً على الأصوات الأخرى غيرِ أصوات القلقلة، وتتمثل هذه التحركات في أن عملية الفك تتم بقوة ونشاط عضلى ملحوظ، مع بطء يستغرق زمنا زائدا على الكم الزمنى للصوت".

هذا، ولما كانت القاف الفصيحة (القديمة) تحتاج في نطقها إلى مجهود عضلي كبير كما أسلفْنا: فقد تطورت إلى عدة صور، لِحَاقا بما تَقَدَّمَها أو تأخَّرَها من أصوات في محاولةٍ للحفاظ على ما يمكن لها من مخرج قريب وصفات مميِّزة.

١ – ففي تطور خَلْفي: عادت القاف على ألسنة بعض العرب إلى الحلق، فأصبحت تنطق همزة، والسبب في ذلك هو: القرب النِّسْبي بين مخرج القاف الفصيحة من اللهاة، ومخرج الهمزة من الحلق (أَوَّلِهِ أو أقصاه كما قال الخليل) مع المحافظة على صفتي الشدة والجهر التي يشترك فيها الصوتان.

وتنتشر هذه القاف الهمزية في لهجة القاهريين ومعظم الوجه البحرى في مصر، كما توجد على ألسنة الشوام.

٢ – وفي مظهر ثان لهذا التطور الخلفي على ألسنة فريق ثان من العرب: أصبحت القاف تنطق مُشْرَبَةً بصوت الغين، كما هو الحال لدى القبائل العربية التي سكنت السودان وجنوبيَّ العراق وبدوِ الصحراء الكبرى في الجزائر كما سبق. والسبب في ذلك واضح، وهو: قرب مخرج الصوتين (القاف الفصيحة والغين)، مع الإبقاء على صفة الجهر التي توجد في الصوتين.

٣- وفي تطور أمامى: أصبحت القاف الفصيحة ينطق بها كالكاف. وقد سمعتها بأذنىّ في أثناء وجودى بالمملكة العربية السعودية، وهي أثر من النطق التميمي لها.

والسبب في ذلك واضح، ويتمثل في اتحاد مخرج الصوتين، وإن كانت الكاف بعد القاف إلى خارج الفم كما سبق، مع المحافظة هذه المرة على صفة الشدة التي تجمعهما.

وقد سمعت هذه الكاف على لسان واحد من إخواننا في محافظة المنيا، حيث يقولون في البرتقال: برتكان.

" فالقاف صوت فخم، يستدعى تقعر وسط اللسان واستعلاء مؤخَّرِه وضيقَ حجرة الرنين مما ينجم عنه امتلاء الفم بصداه، فينتقل الإنسان عنه إلى نظيره الذي يخلو من هذا الجهد وهو صوت الكاف، الذي هو صوت مرقق يستفل معه اللسان أي: يقبع في مكانه من قاع الفم، يفعل ذلك دون أن ينتقل إلى منطقة بعيدة عن منطقة القاف" .

٤ – وفي مظهر ثان لتطور القاف تطورًا أماميا: وجدناها تنطق كالجيم القاهرية، ويسميها أستاذنا الدكتور/ جبل: القاف الريفية، نسبة إلى ريف مصر.

أما السبب في ذلك فهو: قرب ما بين مخرج القاف ومخرج الجيم القاهرية من ناحية، ومحاولة الإبقاء على صفة الشدة والجهر فيها من ناحية ثانية.

وهنا ملاحظة لطيفة تجدر الإشارة إليها، وهى: أن صوت القاف في تطوره إلى الخلف أو إلى الأمام مباشرة، حيث صوتا: الغين، والكاف على الترتيب: يكتفي بالمحافظة على صفة واحدة فقط، هى الجهر مع الغين، والشدةُ مع الكاف، بينما نجده في تطوره إلى منطقة أبعد في الخلف أو الأمام، حيث صوتا: الهمزة، والجيم القاهرية على الترتيب، يعوض البعد النسبى في المخرج بالمحافظة على صفتين لا صفة واحدة. هما الجهر والشدة مع الهمزة والجيم القاهرية.

يقول الدكتور رمضان عبد التواب : " فتطور القاف إلى همزة أو غين، أو كاف أو جيم قاهرية مثلا: أمر يمكن تفسيره جيدًا بالقوانين الصوتية، من قرب المخارج. أو صفات الأصوات" .

ويقول في هذه الجزئية خصوصا: "عَدَّ قدماء اللغـويين العـربِ القـافَ من الأصوات المجهورة، انظر: (كتاب سيبويه: ٢/٤٠٥، وسـر صـناعة الإعراب: ١/ ٢٧٨، وشرح ابن يعيش للمفصل: ١٠/١٢٩- في العربيـة الفصحى).

فإنْ صَدَقَ وصـفُهم إياهـا بـالجهر: كـان ذلـك النطـق مـن الـتغيرات التاريخية في العربية القديمة.

وقد بقى هذا النطق المجهور في أغلب البـوادى في اللـهجات العربيـة المعاصرة، وإن تقدم مخرجا إلى الأمام قليلا فأصبح كالكاف الفارسية.

وفي السودان وجنوبي العراق: تحول نطق القاف إلى غين.

وفي اللهجة المصرية كلمتان قلبت فيهما القاف غينا على هذا النحـو، هما: (يِغْدَرْ) ومشتقاتُها بدلا من: يَقْدِر، و (زَغْزَغْ) بمعنى حـرك يـده في خاصرة الصبى ليضحكه، والأصل فيها في العربية: زقزق.

والتعليل الصوتي لهذا الانقلاب سهل ويسير.

فضياع الانفجار من القاف، وتزحزح مخرجها إلى (الخلف) قليلا: هو المسئول عن انقلابها غينا في نطق أهل السودان وجنوبى العراق".

ونُنهي حديثنا عن صوت القـاف العـربي، ومـا أصـابه مـن تطـور في المخرج والصفات، بتسجيل دقيق لهذا وذاك بين القُـدامى والمحـدثين.. حيث يقول أستاذنا الدكتور/ هلال في ذلك: "من الأصوات التي اختلـف وصفها بين الأقدمين والمحدثين: القاف، على الرغم مـن اتفـاقهم علـى مخرجها وهو أقصى اللسان مع ما يحاذيه مـن الحنـك الأعلـى، وتسـمى



صوتا لهْويا، نظرًا لأنه حالَ النطق بها: ينحبس الهواء باتصال أدنى الحلق بما في ذلك اللهاة بأقصى اللسان، ثم ينفصل العضوان انفصالا مفاجئا.

ولذلك يمكن أن تسمى القافُ صوتا لهويا نسبة إلى اللهاة، وقد وصفها بذلك الدكتور محمود السعران، فقد قال: القاف صوت مهموس لهوى انفجارى.

وقد وصفها الأقدمون بالشدة، ولكن تبين للمحدثين أنها مهموسة حسب نطق مجيدى القراءات في مصر الآن.

وقد لاحظ علماء اللغة العربية المحدثون أن السودانيين العرب وبعض القبائل في جنوب العراق ينطقون قافا مجهورة قريبة من الغين، كما لاحظوا أيضا أن معظم البدو الآن ينطقون القاف نطقا يشبه الجيم القاهرية ولكنها أعمق منها في أقصى الفم وأكثر استعلاء، وهم بذلك يميلون إلى اعتبار أن القاف العربية كانت تشبه ذلك الصوت المجهور إما بطريقته السودانية أو بطريقته البدوية، ثم هُمِس على توالى الأيام.

والتطور سنة الحياة وطريق طبيعى سارت فيه كل اللغات وأصواتِها، بل إننا نشاهد القاف التي ينطقها القراء اليوم ووصفت بالهمس لدى المحدثين قد تطورت إلى صور أخرى في اللهجات الدارجة.

ففي مصر والشام: تنطق الآن همزة، وفي بعض جهات الوجه القبلى بمصر وبين كثير من قبائل البدو في الصحراء تنطق كالجيم القاهرية.

وتطورها إلى الهمزة، أو الجيم القاهرية يتمشى مع قانون التطورات الصوتية، إذ أنها تشترك مع الهمزة في صفة الشدة التي لا تتحقق لغير الهمزة من أصوات الحلق.

وبينها وبين الجيم القاهرية تقارب في المخرج، فهما معا من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى كما سبق بيانه، وصفة الجهر- كذلك – تجمع بينهما باعتبار أصل القاف العربي المجهور" .

سادسًا: كَزَازَةُ الطباع، وصلابتها



سبق لنا في (التمهيد) للكتاب أن أوردنا قول الخليل في معرض حديثة عن الفرق بين الكلمات العربية والدخيلة: " فإن كان البناء (الرباعي) اسما: لزمتْه السين أو الدال - مع لزوم العيْن أو القاف - لأن الدال لانت عن صلابة القاف وكزازتها".

وأن ابن جنى وافقه في ذلك، حيث قال: "الدال لانتْ عن صلابة الطاء".

مخرج الطاء القديمة

الطاء القديمة كما في كتب النحاة: من الوِحدة الأولى لأصوات مقدَّم اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، (حيث المجموعة الكبرى من الأصوات المتقاربة في المخارج) ضمن ما يسمى بالأصوات النِّطْعية، أي التي يشترك نِطْعُ الغار الأعلى – أي صُلْبَه – مع طرَف اللسان في نطقها، وهى ثلاثة: الطاء والدال والتاء.

يقول الخليل: "والطاء والتاء والدال نِطْعِيَّة؛ لأن مبدأها من نِطْع الغار الأعلى".

ويقصد الخليل بعبارته هذه: "أن هذا الجزء – ما بين اللسان والغار – هو الذي ينحصر فيه الهواء عند نطق الطاء وأختيها، فكأنهن يتولدن في هذا الجزء".

ويقول ابن جني: "ومما بين اللسان وأصول الثنايا: مخرج الطاء والدال والتاء".

أما مخرج الطاء الدقيقُ قديمًا، فهو: طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا ومُقّدَّمِ الَّلَثة.

يقول سيبويه: "ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا: مخرج الطاء والدال والتاء".

ويقول: "كما أن الطاء وأخواتها من الثنايا"، "لأنك تضع للطاء لسانك بين الثَّنِيَّتَيْن".

وإذا كانت الطاء - في نهاية المطاف- تخرج مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا: فإن مخرجها العام يبدأ في التكوين عند مؤخَّرة اللسان وما يحاذيها من الحنك الرخو، مع تقعر وسطه في مقابل الحنك الصلب.

يقول الدكتور/ رمضان عبد التواب عن هذه الجزئية في الطاء، التي تشترك معها فيها كذلك الدالُ والتاء: "فهذه الأصوات وإن كان الثلاثة الأولى منها من الأسنان واللثة، ومخرجُ الرابع من بين الاسنان: فإن مؤخَّرة اللسان تعمل معها كذلك" .

ويقول أستاذنا الدكتور/ جبل في تحديد مخارج تلك الأصوات الثلاثة- الطاء والدال والتاء -بدقة: "فالطاء تخرج بالتقاء مقدَّم اللسان وطرَفه باللَّثَة، وقد يصل جزء من طرف اللسان إلى أصول الثنايا العليا.

وهى أعلى حروف هذه المجموعة في موضعها، فإن طرف اللسان معها يكون معظمه على اللثة، ولا يمس صفحةَ الأسنان منه إلا جزء دقيق.

وتليها في ذلك: الدال، ثم التاء التي يكون معظم طرف اللسان أثناء نطقها على الصفحة الداخلية للثنايا العليا، ويكون جزء دقيق منه على اللثة.

ويندفع للطاء الهواءُ من الرئتين حتى يمر بين الوترين زامرًا، لتضايقهما، حتى إذا وصل إلى تجويف الفم: استعلى أقصى اللسان ليلتقى باللثة والثنايا التقاء محكما، فنسمع صوت الطاء" .

هذا، ونظرًا لامتداد مخرج الطاء على هذه الكيفية السابقة: فإنها تكون مصحوبة بظاهرتين:

١-الطبقية، حيث وسطُ اللسان المتقعرُ مع ما يحاذيه من الحنك الصلب.

٢- الاستعلاء أو التفخيم حيث أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الرخو.

ومن هنا كان التقاء الطاء القديمة بما يساوى لدينا - نحن المصريين- الآن الضاد في فصيح نطقنا وعلى ألسنة المجيدين للقراءات القرآنية.

وهكذا"نستطيع أن نتصور النطق الفصيح للطاء القديمة بأنها كانت تقترب من الضاد التي ننطقها اليوم في الفصحى وفي القرآن الكريم" .

يقول الدكتور/ أنيس في هذا الخصوص: "والذي أرجحه : أن صوت الطاء كما وصفها القدماء كان يشبه الضاد الحديثة لدى المصريين، أي أن ما كان يسمى بالطاء: كان في الحقيقية: ذلك الصوت الذي ننطق به الآن نحن المصريين ونسميه ضاداً.. وهنا يتضح معنى قول ابن الجزرى: إن المصريين ينطقون بالضاد المعجمة طاء مهملة" .



صفات الطاء القديمة

وأما صفات الطاء القديمة، فقد كانت تتمثل في أنه صوت "مجهور، شديد، مستعْل (مفخم)، مطبق، مصمت، مقلقل".

وإن كانت الطاءُ أقوى في التفخيم أو الاستعلاء من أخواتها.

ويتعلق الاستعلاء أو التفخيم برفع أقصى اللسان في مقابل ما يوازيه من الحنك الرخو؛ بينما يتعلق الإطباق بتقعر وسط اللسان في مقابل ما يوازيه من الحنك الصلب، بحيث يصير وسط اللسان كالطبق.

مخرج الطاء الحديثة

أما الطاء الحديثة فإن مخرجها هو: "مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا".

غير أن مخرجها مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا قد أصابه نوع من التطور، تمثل في: الانتقال بهذا المخرج إلى الأمام قليلاً عما كانت عليه في النطق القديم.

صفات الطاء الحديثة

وأما صفاتها: فتتمثل في أنها صوت: "مهموس، شديد، مستعل، مطبق، مصمت، مقلقل".

وذلك في النطق الغالب لدى معظم المصريين على سبيل المثال.

ومن هنا يرى (برجشتراسر): أن الطاء مهموسة اليوم، مجهورة عند القدماء، ونطق الطاء العتيقُ قد انمحى وتلاشى تماما.

أما (شادَهْ) فيرى – على العكس من ذلك – أن نطق الطاء العتيقَ يوجد في جنوب جزيرة العرب حتى اليوم، فيقول: سيبويه يَعُدُّ من المجهورة: الطاء والقاف، وفي لفظ عصرنا لا نصيب للأوتار الصوتية في إنتاجهما، ولكن ذلك لا يصح إلا عن لفظ المدارس (يقصد الفصحى الحالية)، وأما اللهجات فتخالفها مخالفة شديدة، فإن سكان جنوب جزيرة العرب مثلا يلفظون الطاء كأنها ضاد المصريين، والقافَ كأنها جيم المصريين بإطباق، فيقولون مثلاً: (وَجَع فُوجْنا مَضَر) يعني: وقع فوقنا مطر،



و(قَضَعْتُ وَرجَهْ) يعني: قطعت ورقة، ومثل ذلك يصح من غير لهجة جنوب جزيرة العرب من اللهجات العصرية .

يقول الدكتور أنيس في هذه الجزئية من الموضوع: "وقد أجمع الرواة في وصفهم للطاء القديمة على أنها صوت مجهور، مما يحملنا على الاعتقاد أن الطاء القديمة تخالف التي ننطق بها الآن، ويؤيد هذا: ما نسمعه الآن من نطق أهل اليمن وبعض البدو للطاء في كلمة مثل (مطر وأمطار) كأنما هي (مضر وأمضار).

فالطاء القديمة المجهورة لا نزال نسمعها في بعض اللهجات الحديثة.

كما يؤيده قول ابن جني في (سر الصناعة) نقلا عن سيبويه في (الكتاب): ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا، والصاد سينا، والظاء ذالا، ولخرجت الضاد من الكلام؛ لأنه ليس شئ من موضعها غيرها.

فما وصفوه لنا على أنه الطاء هو في الحقيقة الضاد المصرية الحديثة .

ونستطيع أن نقول: إن هذه الطاء التي وصفت لنا مجهورة في كتب القدماء ما يزال لها وجود لدى أبناء محافظة سوهاج دون غيرهم من جمهورية مصر العربية.

وفي بيان مُسهَب مفيد لصوت الطاء وتطور مخرجها وصفاتها بين القدامى والمحدثين من العرب، يقول أستاذنا الدكتور/ هلال: "اتفق الأقدمون والمحدثون على السواء في مخرج الطاء فهي من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا.

ولكن الأقدمين وصفوها بالجهر، والمحدثين بالهمس.

وليس معنى ذلك أن أحد الفريقين تجاوز الصواب في رأيه، بل كل منهما مبنى على أساس النطق الذي وصل إليه.

ويتضح من وصف القدامى لها بالجهر أن هذا الصوت كان نطقه شبيها بنطق الضاد المعروفة اليوم، إذ أن هذه الضاد ليست هى الضاد العربية الفصحى، فإن تلك كانت تنطق من جانب اللسان أو من كلا الجانبين على نحو يصعب التفوّه به، بحيث عُدَّ صوتا تنفرد به العربية وتلقب به فيقال لها لغة الضاد.

أما الضاد الحديثة فبعيدة كل البعد عن تلك الضاد العربية الفصحى.

ويظهر أن الطاء التي نطق بها العرب كانت قريبة الشبه من تلك الضاد الحديثة التي يُنطق بها الآن، ويدل لذلك قول ابن الجزرى: إن المصريين ينطقون بالضاد المعجمة طاء مهملة، ويدل له أيضًا قول ابن جني نقلا عن سيبويه: لولا الاطباق لصارت الطاء دالا والصاد سينا والظاء ذالا ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شئ من موضعها غيرها.

فالطاء المطبقة بنطقنا لا تناظرها الدال وإنما تناظرها التاء، أما الدال فنظيرها المطبق هو الضاد التي تُنطق بها الآن، مما يدل على أن نطق الطاء الفصيحَ كان هو نطقَ الضاد الآن، وإلا لقال: لولا الإطباق لصارت الطاء تاء.

وقوله: ولخرجت الضاد من الكلام: يبين أنه يقصد ضادًا أخرى غير التي ننطق بها الآن، لأن التي ننطق بها الآن إذا جُرِّدَتْ من الإطباق أصبحت دالا، فكيف يقول: ولخرجت الضاد من الكلام؟

هذا يدل صراحة على أن نطق الضاد العربيةِ ليس هو النطق الذي نعرفه اليوم للضاد، بل هو نطق آخر عَصِيٌّ أشرنا إليه سابقًا.



ويدل لذلك أيضًا: أنا نسمع الآن من نطق أهل اليمن وبعض البدو للطاء في كلمة مثل مطر وأمطار كأنما هى مضر وأمضار.

فالطاء القديمة المجهورة لا نزال نسمعها في بعض اللهجات الحديثة.

وقد سمعت أهل صنعاء ينطقون الطاء المجهورة شبيهة بنطق الضاد المصرية، كما سجلتُ ذلك تسجيلا صوتيا، وذكرته في بحث لى بمجلة كلية اللغة العربية بالرياض.

والطاء التي تجرى على ألسنتنا اليوم طاء حديثة لم تعرفها العربية من قبل، وهى مهموسة كما يقول المحدثون، لأن هذا الوصف ينطبق عليها.

وتبقى لهجة صنعاء – كغيرها من لهجات البدو – مُعَبِّرَةً عن النطق الفصيح لهذا الصوت.

وعلى هذا: تكون الطاء الحديثة كما يُنطق بها على ألسنة غالبية المصريين قد أصابها تطور في كل من المخرج والصفات.

ففي المخرج: انتقل مخرجها - كما سبق - إلى الأمام قليلاً عما كانت عليه قديمًا.

وفي الصفات: أصبحت مهموسة بعد أن كانت مجهورة.

وذلك كله بهدف التخفف منها نطقا وصفاتٍ، كما هو واضح.

يقول أستاذنا الدكتور/ جبل في ذلك: "أما سر التطور الذي أصاب صوت الطاء على ألسنة بعض المصريين والمغاربة، فهو: التخفف من ثقل الفصحى، بتحريرها من الجهر، والاقتصار في نطقها على أن يلتقى جزء من طرف اللسان أيسرُ بنقطة من الخلف أدنى مما ينبغى مع الفصحى".

كَزَازَة الطاء

يقول المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة في مادة (كَزَّ):

كزَّ الشيءَ يكُزُّ كزًّا: يَبِس وانقبض من البرد. وكزَّ الوجهُ: قبح. وكز فلان: كَزازًا وكَزَازةً: قلَّ خيرُه ومساعدته، فهو كَزّ. ورجل كزُّ اليدين: بخيل. وكزَّ الشيءَ يكُزُه كزًّا: ضيَّقه.

والتكزُّزُ: انطباق الفكين بتقلص العضلة الماضغة فيمتنع فتح الفم.

والكَزازُ: اليُبس، والانقباض، والبخل.

وباستعراض هذه المادة اللغوية ومشتقاتها نرى أنها تدور حول الحصر والتضييق. وهكذا الطاء العربية قديما وحديثا: صوت كزّ، أي: ضَيِّقُ المخرج، محصورُه.

يقول سيبويه في ذلك: "وهذه الحروف الاربعة (ص ض ط ظ) إذا وضعْتَ لسانك في مواضعهن: انطبق لسانك في مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان، ترفعُه إلى الحنك، فإذا وضعتَ لسانك: فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف...فهذه الأربعة لها موضعان في اللسان، وقد بُيِّنَ ذلك بحصر الصوت".

ويقول ابن جني: "إن بعض الحروف أشدُ حصرًا للصوت من بعضها، ألا تراك تقول في الدال والطاء واللام: ادْ، اطْ، الْ ولا تجد للصوت منفذًا هناك؟ ثم تقول: اسْ، ازْ، اتْ، افْ فتجد الصوتَ يتبع الحرف"؟

أما السبب في كزازة الطاء العربية، بمعنى: ضيق مخرجها وحصره، فيتمثل في اشتراك عدة أجزاء من جهاز النطق في إخراجها، هي: مؤخر



اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الرخو، ووسط اللسان من خلال تقعره بحيث ينحصر الصوت بينه وبين الحنك الصلب المقابل له، وطرف اللسان مع الثنايا العليا وأصولها أو معظمها، على نحو ما تقدم.

وإذا كانت الطاء تخرج بالفعل من طرف اللسان مع الثنايا العليا: فإن هذا المخرج يتم بالتنسيق مع كل من مؤخر اللسان ووسطه مع ما يحاذيهما من الحنك الرخو والصلب، كما أسلفنا أيضًا.

هذا، وتَقَعُّر اللسان من وسطه يكون نتيجة لارتفاع جوانبه حتى تلتصق بالحنك الأعلى.

فالهواء الخارج من بين تلك الأجزاء مجتمعةً محملا بذبذبات الوترين الصوتيين: يُضَيَّق عليه كثيرًا في منطقة خروج هذا الصوت، فيكون مستعليا (مفخما)، مطبقا.

والحروف المفخمة عموما أو المستعلية ومنها الطاء "خاصِّيَّتُها: توتر عظيم في مختلف أعضاء جهاز التصويت، مع تاخير المخرج شيئا ما، نحو: الطاء، والصاد، والظاء في العربية".

وأصوات الإطباق خصوصا، وعلى رأسها الطاء"تتطلب أمرين. الأول: ارتفاع مؤخر اللسان على نحو ما نرى في أصوات الاستعلاء، والثاني: تَقَعُّر وسط اللسان نتيجة لارتفاع جوانبه حتى يلتصق بالحنك الأعلى، فينحصر الصوت بينهما".

والأصوات المحصورة بهذه الكيفية: يتم"فيها التقاء أعضاء النطق التقاء محكما لا يُسمح فيه للهواء بالمرور، وهذا أمر أقوى وأصعب عضليا وفسيولوجيا من مجرد التضييق الذي يحدث مع الأصوات الأخرى".

أما ارتفاع مؤخر اللسان تجاه ما يحاذيه من الحنك الأعلى وهو الجزء الرخو من سقف الحنك: فيُحْدِث ما يسمى التفخيم والاستعلاء، وحروف الاستعلاء كما هو معلوم تجتمع في قولهم: خُصَّ ضَغْطٌ قَظْ.

وأما تقعُّر وسط اللسان مع ارتفاع جوانبه حتى تلتصق بالحنك الأعلى فيحدث لنا ما يعرف بالإطباق، وهى خاصية زائدة على الاستعلاء كما هو معروف، بدليل أنها لا تصاحب إلا أصواتا أربعة فقط من الأصوات المستعلية، وهى الصاد والضاد والطاء والظاء.

وعلى هذا: "فاللسان حين يرتفع إلى الحنك الأعلى يكون لهذه الحروف (الأربعة) موضعان منه. أحدهما: موضع الخروج، وهو طرف اللسان. وثانيهما: موضع التفخيم وهو مؤخَّر اللسان المرتفعُ إلى الحنك الأعلى.

فالتفخيم يلازم الإطباق، كما في: ص ض ط ظ، ولكن لا يتوقف عليه كما في: خ غ ق "، "والإطباق يحصر الصوت - ومعناه: الأثر السمعي - بين اللسان والحنك، وكأن سيبويه يوشك (في هذا المقام) أن يقول: وبذلك تتكون حجرة رنين لها شكل معين ينتج عنها أثر سمعي معين هو الذي يسميه التفخيم" .

وفي بيان مفيد فسيولوجيا لماهيَّة الإطباق، يقول أستاذنا الدكتور/ علام في ذلك: "الإطباق عبارة عن استعلاء، أقصى اللسان مع ارتفاع مُقَدَّمه للغلق أو للتضييق أو لكليهما. وعلى ذلك: فالإطباق جزء من الاستعلاء، وكل إطباق استعلاء" .

كما يقول: "وصفة الإطباق: يعنى بها القدماء ذلك الوضع الفسيولوجي المركب من عنصرين، وهو التقاءٌ أماميٌّ وآخرُ خلفي في زمن واحد.



وذلك بأن يلتقى مقدم اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، إما بالغلق المحكم كما في الطاء، أو بالتضييق الذي يُسمح معه للهواء بالمرور كما في الصاد والضاد، أو بالغلق في مكانٍ والتضييق في آخر كما في نطق الضاد الفصيحة.

وفي الوقت ذاته: يتم التقاءٌ خلفي، وذلك بارتفاع مؤخر اللسان إلى الحنك الأعلى، بحيث يتكون بينهما ممر ضيق.

وهكذا تكون صورة اللسان: ارتفاع من الخلف ، وارتفاع من الأمام، ويعقب ذلك انخفاض في وسطه أو تقعر فيصبح مثلَ الطبق، ومن ثم سميت هذه الصفة بالإطباق، وسميت الأصوات التي تنطق بهذه الكيفية بأصوات الإطباق.

وأصوات الإطباق عند علماء التجويد والقراءات، كما هى عند اللغويين: الصاد والضاد والطاء والظاء.

وضد الإطباق: الانفتاح، وهو عدم ارتفاع مؤخر اللسان، وعدم تركب المخرج، وذلك في بقية الأصوات" .

هذا، ولا يخفي على أحد من الدارسين الآن أن الإطباق أقوى من الانفتاح؛ نظرًا لما يحتاجه الأول من جهد عضلي لا يتطلبه الثاني، "وكان الصوت المطبق أقوى من الصوت المنفتح. فالضاد المطبقة أقوى من نظيرها المنفتح وهو الدال، والصاد المطبقة أقوى من نظيرها المنفتح وهو السين، والطاء المطبقة أقوى من نظيرها المنفتح وهو التاء، والظاء المطبقة أقوى من نظيرها المنفتح وهو الذال" .

وذلك: "أن ارتفاع مؤخر اللسان أثناء نطق الصوت اللغوي يعد جهدًا عضليا زائدا على كون مؤخر اللسان باقيا في وضعه العادى دون أن

يرتفع، لذا كان الارتفاع صفة من صفات القوة، وعدمه صفة من صفات الضعف، ومن ثم كان الصوت الذي يرتفع معه مؤخر اللسان أقوى من الصوت الذي لا يرتفع معه، ومن هنا: كانت أصوات الاستعلاء أقوى من أصوات الاستفال.

ويلحق بذلك: أصوات الإطباق. فإنها تتطلب أمرين. الأول: ارتفاع مؤخر اللسان، على نحو ما رأينا في أصوات الاستعلاء. والثاني: تقعر وسط اللسان؛ نتيجة لارتفاع جوانبه حتى تلتصق بالحنك الأعلى، فينحصر الصوت بينهما.

ومن هنا: فإن أصوات الإطباق التي تتطلب جهدًا عضليا مضاعفًا: أقوى من أصوات الاستعلاء من جهة، ومن جهة أخرى: أقوى من أصوات الانفتاح" .

ويقول الأنطاكي في ذلك أيضًا: "الإطباق، هو: أن يرتفع مؤخر اللسان نحو وسط الحنك الأعلى في شكل مُقَعَّر على هيئة مِلْعقة؛ بينما يكون طرفه ملتحما مع جزء آخر من أجزاء الفم مشكلاً مَحْبِسًا من المحابس الصوتية المختلفة.

وهذه الكيفية للسان أثناء عملية النطق تعطى الصوت المنطوق طابعا خاصا من الضخامة والفخامة، وتسمى تلك الأصوات بالأصوات المطبقة، ويسمى غيرها بالأصوات المنفتحة.

والمطبقات في العربية أربعة، هى: الصاد والضاد والطاء والظاء، وما سواها منفتحة" .

هذا، وكان القدماء من علماء التجويد والقراءات قد سبقوا إلى شئ قريب مما سبق توضيحه لدى الدكتور/ علام، كما اهتدوا إلى درجات الإطباق المتفاوتة التي يتمثل أعلاها في صوت الطاء.

يقول الدكتور/ علام في ذلك: "يعلل علماء القراءات والتجويد لتسمية حروف الإطباق بهذا الاسم قائلين: وإنما سميت بحروف الإطباق لأن طائفة من اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بهذه الحروف، وتنحصر الريح بين اللسان والحنك الأعلى عند النطق بها، مع استعلائها في الفم.

كما يَلْفِتُون إلى أن صفة الإطباق ليست على درجة واحدة، وإنما تتفاوت درجاتها مع الأصوات المطبقة، فيقول مكى بن أبى طالب: وبعضها أقوى في الإطباق من بعض، فالطاء أقواها في الإطباق وأمكنها في الجهر لشدتها، والظاء أضعفها في الإطباق لرخاوتها وانحرافها إلى طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، والصاد والضاد متوسطان في الإطباق".

هذا، "وتعد صفة الإطباق بالنسبة للطاء وأخواتها صفة جَوْهرية لا تستقيم تلك الأصوات إلا بها، فلولا الإطباق لتحولت الطاء تاء، إذ لا فرق بينهما إلا في الاطباق، والطاء هى النظير المطبق للتاء". حيث أن اللغة العربية تعد من بين اللغات التي تهتم بالإطباق باعتباره مُمَيِّزاً صوتيميًّا بين سواكنها، وينعكس هذا الاهتمام في نظامها الهجائى، حيث مَيَّزَتْ برمزين مختلفين كلا من: التاء والطاء، والسين والصاد، والدال والضاد، والذال والظاء".

وبالمناسبة: يلفت الدكتور/ رمضان عبد التواب الانظار إلى الفرق بين مصطلح أو ظاهرةِ الإطباق وبين ما يسمى بالأصوات الطَّبَقية، فيقول: "فالإطباق وصف لصوت لا ينطق في الطبق، وإنما ينطق من مكان آخر، وتصحبه ظاهرة عضلية في مؤخَّرة اللسان، وذلك على العكس مما سبق أن عرفنا في المخارج من الأصوات الطبقية وهى التي تخرج من الطبق".

وهو مسبوق في هذا التمييز بين الطبقية أو الطبق بوصفه مخرجا لبعض الأصوات اللغوية وبين مصطلح أو ظاهرة الإطباق بالدكتور تمام حسان في كتابه (مناهج البحث في اللغة/ ٨٩)، إذْ يقول الدكتور/ عبد التواب مادحا: "وقد أحسن الدكتور تمام حين فرق بين الإطباق والطبقية على النحو التالى، فقال: وليحذر القارئ من الخلط بين اصطلاحين يختلفان أكبر اختلاف، وإن اتحدا في كثير مما يخلق صلة بينهما، وذلك هما: الطبقية أو النطق في مخرج الطبق، والإطباق.

فالطبقية: ارتفاع مؤخر اللسان حتى يتصل بالطبق فيسد المجرى أو يضيقه تضييقا يؤدى إلى احتكاك الهواء بهما في نقطة التقائهما، فهي – إذن – حركة عضوية. أما الإطباق: فارتفاع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبق، بحيث لا يتصل به، على حين يجرى النطق في مخرج آخر غير الطبق، يغلب أن يكون طرَفُ اللسان أحدَ الأعضاء العاملةِ فيه" .

أما أهم الصفات التي تميز بين أصوات تلك المجموعة الثلاثة وهى الطاء والدال والتاء، فتتمثل - في رأيى - في كون الطاء مطبقة، وكون الدال شديدة، وكون التاء منفتحة. إذْ "لا فرق بين الطاء والتاء إلا في أن مؤخرة اللسان ترتفع نحو الطبق عند نطق الطاء ولا ترتفع نحوه في نطق التاء" وأما الدال: فالشدة فيها أقوى وأوضح.

وهكذا يتضح لنا أن مصطلح (الكزازة) في الطاء يتمثل في: ضيق مجرى هواء التنفس أثناء خروجها، حيث يبدأ تكوينه عند أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الرخو فيما يعرف بالاستعلاء أو التفخيم، ثم وسطِه مع ما يحاذيه من الحنك الصلب فيما يعرف بالإطباق، ثم يتم مخرجه بين طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا وصفحة اللَّثَة، على نحو ما تقدم في موضعه.



صلابة الطاء

يقول المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة في مادة (صلُب):

صلُب يصلُب صلابة: اشتد وقَوِيَ. وصلُب على المال وغيره: بَخِلَ وتشدد. وصلّبَ الشيءَ: قوّاه ومتّنه.

وتصلَّبَ: تشدَّد وتقوَّى، وفَقَدَ لِينَه. يقال: تصلب العود، وتصلب الشريان، وتصلب في الرأي ونحوِه: تشدد فيه وأصر عليه.

والصلابة، يقال: في وجهه صلابة، أي: صفاقة.

والصلابة: صفة الجسم الذي يحتفظ بشكله وحجمه.

والصُلْبُ: الشديد القوى. ومن الأرض: الشديد الجامد.

وباستعراض هذه المادة واشتقاقاتها: نجد أن الصلابة تدور في غالب أمرها ومعظمه حول الشدة.

وتعد صفة الشدة من أهم صفات الطاء.

والشدة ببساطة: "حبس النفس عند مخرج الصوت حال نطقه، ويكون ذلك بإغلاق مجرى النفس عند مخرج الصوت.

فإذا اقتضى نطق صوت ما التقاء أعضاء النطق في مخرجه بحيث تَحْبِسُ هذه الأعضاءُ النفَس حبسا محكما: فذلك الصوت شديد.

ويمكن ذوق ذلك بنطق الصوت مشكلا بالسكون بعد أي صوت آخر أو بعد همزة وصل مفتوحة كما أشار الخليل (اقْ – اكْ – اتْ..الخ)، فإذا

كان النفس يحتبس في حالة الإسكان هذه مهما استمرت: فالصوت شديد".

وتعود الصلابة في صفة الشدة عند نطق الطاء إلى أنها بذل لجهد عضلى أزيدُ من عَدَمه، تترتب عليه حالة الغلق الكامل لمجرى هواء التنفس المصاحب لهذا الصوت لحظة قصيرة جدا من الزمن ثم تسريحه فجأة فيما يعرف لدى المحدثين بالانفجارية، وهو صفة من صفات القوة.

ذلك "أن غلق الممر في أثناء نطق الصوت اللغوي: جهد عضلى مبذول بإزاء تضييق الممر، ومن هنا: كان الغلق صفة من صفات القوة، والتضييق صفة من صفات الضعف، والصوت المغلق– بناء على ذلك – أقوى من الصوت الاحتكاكى، والصوتُ المتوسط في منزلة متوسطة بينهما".

هذا، والأصوات الشديدة (المغلقة أو الانفجارية) هى المجموعة في قولهم: أَجُدَك قَطَّبْتَ عند الجميع من لغويين وتجويديين.

يقول محمد مكى نصر في التحذير من إخفاء تكرير الراء وهى مشددة وأن هذا وضع شبيه بالإتيان بالطاء ضَيِّقةً: "وقد يبالغ قوم في إخفاء تكريرها مشددة فيأتى بها مُحَصْرَمة شبيهة بالطاء، وذلك خطأ لا يجوز؛ لأن ذلك يؤدى إلى أن يكون الراء من الحروف الشديدة مع أنه من الحروف البَيْنِيَّة".

وكما كانت صفتا الاستعلاء والاطباق اللتان تلازمان الطاء قديما وحديثا من صفات القوة فيها: فإن صفة الشدة تعد كذلك بالنسبة لها.

وهذا هو السر في عدّ الدكتور/ علام صوتَ الطاء أقوى الأصوات العربية على الإطلاق، استمع إليه يقول: "فعلى قدر ما في الحرف من



الصفات القوية: تكون قوته، وعلى قدر ما فيه من الصفات الضعيفة يكون ضعفه" .

كما يقول: "فالطاء المهملة أقوى الحروف: لأنه قد اجتمع فيها من صفات القوة ما لم يجتمع في غيرها من الحروف، فإنها: مجهورة، شديدة، مستعلية، مطبقة، مصمتة، مقلقلة" .

وفي هذا الاستنتاج نظر، ولعل أستاذنا يقصد: أن الطاء أقوى الحروف المصمتة، لا مطلقِ الحروف العربية!

لأن المعوَّل عليه في قوة الحرف وضعفِه إنما هو عدد الذبذبات الصوتية الناتجة عن الوترين الصوتيين، لا مجرد الصفات المصاحبة! حيث عدد الذبذبات هو الذي يسبب قوة الوضوح من عدمه.

وينطبق هذا الأمر بجلاء على كل من: الياء المدِّية (٢٤٠٠ ذ/ث)، ثم الألف المَدِّية (١٢٠٠ ذ/ث)، ثم الواو المَدِّية (٨٠٠ ذ/ث).

أما الأصوات الساكنة – ومنها الطاء – فإن عدد الذبذبات الصوتية المصاحبة لها أقل من ذلك بكثير جدا، كما هو مقرر في علم الأصوات اللغوية .

وهكذا يتضح لنا أن مصطلح الصلابة في الطاء راجع إلى صفة الشدة التي تشتمل عليها.

سابعا: لُيونة الدال

سبق في (التمهيد) لهذا الكتاب قول الخليل عن ليونة الدال: "فإن كان البناء (الرباعي) اسما: لزمته السين أو الدال مع لزوم العين أو القاف، لأن الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها، وارتفعت عن خفوت التاء فحَسُنْت".

وقول ابن جني: "الدال لانت عن صلابة الطاء، وارتفعت عن خفوت التاء".

وللتذكير: تعد الدال عند اللغويين والتجويديين من مجموعة مُقدَّم اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، مشتركة في ذلك مع التاء والطاء. وتسمى بالأصوات النِّطْعية، نسبة إلى نِطْع الغار الأعلى. أي صُلْبَه، كما سبق في الطاء.

مخرج الدال

مخرج هذا الصوت بناء على ما سبق، هو: مقدم اللسان (طرَفه) مع أصول الثنايا العليا.

يقول الخليل: "والطاء والتاء والدال نطعية؛ لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى".

ويضيف الدكتور كمال بشر إلى هذين العضوين: مُقَدَّمَ اللِّثَة، ومن هنا جاء وصفها بأنها لِثَوَيَّة.

وقال ابن الجزرى في هذه الجزئية: "المَفْرَج الثانى عشر: الطاء والدال والتاء، من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مُصَعِّدًا إلى جهة الحنك".

ويعلق الدكتور/ علام على هذا الكلام بقوله: "فقوله (مصعدا إلى جهة الحنك الأعلى) يدل على دخول اللثة واشتراكها في النطق". "فمما بين اللسان وأصول الثنايا (اللثةِ): مخرج الطاء والدال والتاء".

صفات الدال

أما صفات الدال الصوتيةُ التي تخصها، فهي: "صوت مجهور، شديد، مستعل، منفتح، مصمت، مقلقل".

يقول الدكتور: رمضان عبد التواب في مخرج الدال وصفاته التي تميزه: "الدال صوت شديد مجهور مرقق. يُنطق بأن تلتصق مُقَدَّمة اللسان باللِّثة والاسنان العليا التصاقا يمنع مرور الهواء، ورفعِ الطبق ليسد التجويف الأنفي، مع ذبذبة الأوتار الصوتية، وبقاء مؤخَّرة اللسان في وضع أفقي، ثم يزال السد بانخفاض مقدمة اللسان فيندفع الهواء المحبوس إلى الخارج".

وفي تقرير الشدة لصوت الدال، مثلها في ذلك مثل الطاء، قال ابن جني: "إلا أن بعض الحروف أشد حصرا للصوت من بعضها، ألا تراك تقول في الدال والطاء واللام: إدْ، اطْ، إلْ، فلا تجد للصوت منفذا هناك، ثم تقول: إسْ، إزْ، إذْ، إثْ، إنْ، فتجد الصوت يَتْبَع الحرف"؟!

ويقول الدكتور/ علام: "طبيعة ممر الهواء مع الحركات يكون واسعا وحرا طليقا إلى حد ما، بينما يكون مع الصوامت أضيق بشكل ملحوظ كما في السين مثلا، وقد يكون مغلقا غلقا تاما كما في القاف أو الكاف أو الدال مثلا".

ويقول الأنطاكي، فيما يشبه أن يكون توضيحا لهذه الجزئية: "مَحْبِس الأسنان واللِّثة. وفيه يعتمد طرف اللسان على باطن الثنايا العليا، ومُقَدَّمَهُ على اللثة. فإن كان هذا الاعتماد قويا، وكان الانسداد كاملا: حدثت

أصوات: الضاد والدال والطاء والتاء، وإن كان الاعتماد ناقصـا: حـدثت أصوات: الزاي والسين والصاد".

ليونة الدال

بالوقوف على صفات القوة والضعف في صوت الدال نجد أنه صوت قوى، ومعنى ذلك: أن صفات القوة تغلب على نطقه، كالجهر، والشدة، والانفتاح، والإصمات، والقلقلة، وذلك في مقابل صفة واحدة ضعيفة هي الاستفال فقط!

فمن أين جاءت لهذا الصوت صفة الليونة، مع أنه من الأصوات الشديدة كما سبق؟!

يقول المعجم الوسيط في مادة (لان):

لان الشيءُ يلين لِينا ولَيَانًا: سهُل وانقاد، فهو لَيْن ولَيِّنَ، والجمع: أليناء. ويقال: لان لقومه. وفي التنزيل العزيز: (فبما رحمةٍ من الله لنت لهم)، ويقال: رجل لين الجانب.

فتدور هذه المادة اللغوية ومشتقاتها حول السهولة والانقياد.

ولكى تتضح لنا ليونة الدال: لابد من مقارنتها بنظيرها في النطق وهو الطاء القديمة التي كانت تشبه ضاد المصريين الآن.

فالطاء القديمة كما سبق: صوت مجهور، شديد، مستعل (مفخم)، مطبق، مصمت، مقلقل.

والدال، كما سبق كذلك: صوت مجهور، شديد، مستفل، منفتح، مصمت، مقلقل.

وعلى ذلك يتحد هذان الصوتان في معظم الصفات، ولا يختلفان إلا في الاستعلاء أو التفخيم في الطاء مقابل الاستفال في الدال، والإطباق في الطاء مقابل الانفتاح في الدال.

ومن هنا تجئ ليونة الدال بالقياس إلى صلابة الطاء، فهي ليونة نِسْبِيَّة، وهذا معنى قول الخليل السابق: "الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها".

وقول سيبويه: "ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا" .

وقول الدكتور/ أنيس: "الصوت المطبق الذي نظيره الدال: هو الضاد كما يُنطق بها الآن" .

وقول الدكتور/ علام: "فالضاد المطبقة أقوى من نظيرها المنفتح وهو الدال" .

ومعنى ذلك: أن الدال ليست لينة في ذاتها، بل "التاء والدال أكثر حِدَّةً" من غيرهما، لأن الدال من أصوات الشدة كما سبق (قُطْبٌ جَدٌّ) أو (أَجِدُكَ قَطَّبْتَ)، ولكن إطلاق مصطلح الليونة عليها ووصفها بذلك إطلاق لغوى لا حقيقي، حيث توصف بالليونة بالنظر إلى صلابة الطاء وكزازتها!

ثامنًا: خُفُوت التاء



يقول الخليل عن مصطلح الخُفوت في التاء: "الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها، وارتفعت عن خفوت التاء؛ فحسُنت".

ويقول ابن جني متابعًا: "الدال لانت عن صلابة الطاء، وارتفعت عن خفوت التاء".

مخرج التاء

تقدم أن التاء تُصَنَّفُ ضمن الوِحدة الصوتية الأولى من منطقة المخارج الكبرى، التي تضم أصوات: الطاء والدال والتاء، ومخرجها جميعا: "مما بين مُقَدَّم اللسان وأصول الثنايا العليا".

يقول الدكتور/ السعران: "يتكون هذا الصوت بأن يُوقَف مجرى الهواء وقفا تاما، وذلك بأن يلتقي طرَف اللسان بأصول الثنايا العليا، ويُرفع الحنكُ اللّيِّن فلا يمر الهواء إلى الأنف، يَضغط الهواءُ مدةً من الزمن ثم ينفصل العضوان انفصالا فجائيا محدثا صوتا انفجاريا.



صفات التاء

توصف التاء بأنها: صوت مهموس، شديد، مستفل، منفتح، مصمت.

يقول (مالبرج) في هذا وذاك: "وإنما يتحدد الصامت بطريقة نطقه، وبمخرجه. فالتاء: توصف – إذن – بأنها صامت منغلق (شديد) باعتبار طريقة النطق بها، وبأنها طرَفية لِثوية تبعًا لمخرجها".

ويقول الدكتور/ علام: "من بين الأصوات المهموسة ما الاعتماد في مخرجه يكون قويا، كالأصوات المغلقة، مثل التاء والكاف".

ويقول الدكتور/ السعران: فالتاء: صوت صامت، مهموس، سِنِّيّ، انفجاري".

وفي بيان شافٍ لمخرج التاء وصفاتها وعلاقتها بأختيها، وحِدَّتها الصوتية، يقول أستاذنا الدكتور/ جبل: "التاء كالدال، إلا أنها مهموسة، يمر لها الهواء بين الوترين غير زامر لسعة انفراجها حتى يصل إلى تجويف الفم فيمتد طرف اللسان ليلتقي بصفحتي الثنيَّتَين ولِثَتهما التقاء محكما يَحبِسُ النَّفَس. فهي مهموسة شديدة مستفلة منفتحة مصمتة. وهي غير مقلقلة؛ إذْ لم يجتمع لها الجهر والشدة.

وطرَفَ اللسان الذي يلتقي مع الثنايا ولِثتها في هذه الأصوات الثلاثة (الطاء والدال والتاء) يكون مع الطاء أغلظ، ومع الدال أطول وأدور، ومع التاء أدق، فهي في القوة والغلظ بهذا الترتيب: الطاء أغلظ، والتاء أدق، والدال متوسطة.

ولاتحادهن في المخرج تقريبا، وتقارب أصواتهن: وقع بينهن الإبدال، إلا أنه بين الدال والتاء أكثرُ منه بين الطاء وأيٍّ منهما؛ لأن غِلَظَ الطاء باعَدَ بينهما".

خفوت التاء

السؤال الآن: إذا كان صوت التاء تغلب عليه صفات القوة، حيث إنه: شديد، منفتح، مصمت، في مقابل صفتيْن ضعيفتين فقط، هما: الهمس، والاستفال. فمن أين أتتْه ظاهرة الخفوت التي وُصِف بها في كتب الأقدمين؟

وبالرجوع إلى معاجمنا اللغوية، نجد المعجم الوسيط يقول في مادة (خفت): خَفَتَ يخْفِت -بالضم والكسر- خَفْتًا وخُفُاتا: سكن وسكت وضعُف.

وخفت المريضُ: انقطع كلامُه ومات فجأة. وخفت صوتُه: انخفض. وخفت بصوته: خَفَضَه وأسَرَّه وأخفاه فهو خفيت، وفي حديث عائشة: (قالت: ربما خَفَتَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقراءته وربما جَهَر).

وخافَتَ بصوته: خفّضه، وفي التنزيل العزيز: (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) وتخافتا: تسارًّا، وفي التنزيل العزيز: (يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا). وتخافت فلان: تكلف الخفوت.

والخافت: السحاب ليس فيه ماء. والزرعُ لم يَطُلْ (أي: لم يصبح بعدُ طويلا)، والجمع: خوافت. والخَفُوتُ: النساء الهزيلة.

وباستعراض هذه المادة اللغوية ومشتقاتها نرى أنها تدور في غالب أمرها على الضعف، كما ترى.

وبالرجوع إلى تراثنا اللغوي والتجويدي في تعريف صفة الهمس في مقابل الجهر نرى أن "الهمس والخفوت بمعنى واحد" .

وتأتي الدراسات الصوتية الحديثة لتحدد لنا مفهوم كل من الجهر والهمس، والمجهور والمهموس بوضوح، فتثبت الآتي:

١ - الجهر هو: اهتزاز الوترين الصوتيين.

٢ - الهمس هو: عدم اهتزاز الوترين الصوتيين.

٣ - المجهور هو: الصوت الذي يهتز معه الوتران الصوتيان في أثناء النطق.

٤- المهموس هو: الصوت الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان في أثناء النطق.

وبتطبيق هذه المعطيات وتلك المفاهيم على ما نحن بصدده الآن، وهو شرح ظاهرة (خفوت التاء): نرى أن ذلك جاءها من جهة أنها مهموسة بالدرجة الأولى. وتلك صفة من صفات الضعف.

مضافًا إلي ذلك صفة الضعف الثانيةُ التي سبقت وهي الاستفال ومعناها: "انحطاط اللسان عند خروج الحرف عن الحنك إلى قاع الفم". خصوصا عندما تكون التاء مشكلة بما يسمى السكون، ثم من جهة أنها غير مقلقلة بالقياس إلى أختيها (الطاء والدال) كما سبق، وكما نبه أستاذنا الدكتور/جبل.

ولعل عدم القلقلة في التاء مقابَلَةً بقلقلة الطاء والدال هو السبب في وصف التاء بالخفوت!

ونظرا لاجتماع ثلاث صفات من صفات الضعف في صوت التاء، مُمَثَّلَةً في الهمس والاستفال وعدم القلقلة، هو الذي جعل الدكتور/



علام يعدها من الأصوات الأضعف، حيث يسبقها في مضمار القوة والضعف على الترتيب التصاعدي: الأصوات الضعيفة، الأصوات المتوسطة، الأصوات القوية، الأصوات الأقوى.

تاسعًا: الظاء المُشَالة



يجئ هذا المصطلح الصوتي (الظاء المشالة) لا المعجمة خاصا بهذا الصوت لدى علماء التجويد والقراءات دون علماء اللغة!

وبالرجوع إلى لغتنا نرى فيها أن مادة (شول) وما اشتُقَّ منها تفيد الارتفاع حقيقة أو مجازًا.

ففي المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة:

شال الشيءُ يشول شَوْلا وشَوَلانا: ارتفع. وشال الميزانُ: ارتفعت إحدى كِفَّتَيْه. وشال ميزان فلانٍ: غُلِبَ في المفاخرة ونحوها. وشال الشيءَ وبه : رَفَعَه. يقال شال الرجلُ يديه، وشالت الناقة بذَنَبِها. وأشاله: رَفَعَه.

وشوّلت الدوابُّ ونحوُها: لحقت بطونُها بظهورها من الجوع والهُزال.

وانشال: ارتفع، وهو مطاوع شال أو شال به.

وتشاول القومُ عند القتال: رفع كل فريق السلاح في وجه الفريق الآخر.

والشائل: كل ما ارتفع.

والشائلة من النُّوق: التي خفّ لبنُها فارتفع ضِرْعُها بعد الوضع أو الحمل. والشَّوْلة: ما ترفع العقربُ من ذَنَبِها، والفَصْلَة، وهي علامة من علامات الترقيم ترسم هكذا (،) توضع بين الكلمات والجمل المتقاطعة، أو بين أنواع الشيء وأقسامه. والمِشْوَل والمِشْوال: آلةُ الرفع

ويسمون شولة الميزان : الإبرة

هذا، والظاء المشالة في قراءتي أبي عمرو والكسائي من قوله تعالي في سورة التكوير (آية ٢٤): "وما هو على الغيب بضنين"، حيث قرءآها: بظنين، بالظاء المشالة.

وتختلف دلالة الكلمة بالضاد عنها بالظاء ، حيث معناها بالضاد: ببخيل، وبالظاء المشالة : بِمُتَّهَم! وإن كان في المعنيين نقص لا يليق بمقام الرسالة على كل حال.

ويبدو أن هذا المصطلح التجويدى (الظاء المشالة) قد أخذ من مادة (شال) اللغوية كما سبق، وهو مصطلح صوتي كتابي، ويعني عند علماء التجويد والقراءات ذلك الحرف الذي يُمَيَّزُ بينه وبين الضاد المعجمة بتلك الألف التي توجد فوق جسم الظاء أطولَ من سن الضاد، مائلةً جهةَ اليمين قليلا عند أعلاها، فتشبه لارتفاعها ما ترفع العقربُ من ذَنَبها!

ولو قيل: قرأ أبو عمرو والكسائي كلمة (بظنين) بالظاء المعجمة مثلا لأمكن التباسها بعبارة: وقرأ غيرهم الكلمة بالضاد المعجمة، خصوصا في الخط والرسم الإملائي.

ويرصد الإمام الجَعْبَريُّ هذا الفرق بين رسمي الحرفين (الظاء والضاد) كتابيا، فيقول: " ولا مخالفة في الرسم إلا في تطويل رأس الظاء على الضاد، لأن الظاء رُسِمَ برأس مُعْوَجّ " أي مائل في أعلاه جهة اليمين قليلا، بينما ترسم الضاد بدون هذه الألف ذات الرأس المعوجة، بل بسن صغيرة كما هو حاصل.

والتمييز بين الحرفين (الضاد المعجمة والظاء المشالة) كتابيا يتمثل فيما ذهب إليه بعض علماء التجويد والقراءات من وصفهم للظاء دون غيرها بلقب: المشالة (أي المرفوعة الذَّنَب)!

وأولُ من وجدته من أصحاب القراءات يستعمل هذا المصطلح هو أبو حيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ)، وذلك إذ يقول: "والظاء المُشالة مما انفردت به العرب دون العجم" .

ثم جاء عن صاحبي سِبْط الناصر الطَّبَلاوي (ت ١٠١٤ هـ) في كتابه: الشمعة المُضِيَّة بنشر قراءات السبعة المَرْضِيَّة ، ولم أجده لغيرهما ممن تقدمهما كالداني (ت ٤٤٤هـ)، وشعلة (ت ٥٩٠ هـ)، وابن الجَزَري (ت ٨٣٣هـ) الذين أضافوا إلى أبى عمرو والكسائي في هذه القراءة: ابنَ كثير، وان وُجِدَ اللقبُ لدى بعض المتأخرين، كالدِّمياطي البَنَّاء (ت ١١١٧هـ) والصفاقُسى (ت١١١٨هـ). والشيخ علي المقدسي (ت ١٠٠٤هـ) فيما نقله عنه الشيخ علي المنصوري (ت ١١٣٤هـ).

عاشرًا: ظهور الفاء، والحاء، والثاء

الظهور: ضدُّ الخفاء

وصاحب مصطلح: ظهور الفاء والحاء والثاء، هو محمد مكي نصر، وذلك إذ يقول: "في الفاء والحاء والثاء صفةُ الظهور، الذي هو الوضوح السمعي، وهو من صفات القوة، لكن لم يوضع له اسم في هذا الفن (يقصد: علم التجويد).

والفاء: صوت شفوي أسناني، مهموس، رخو، مستفل، منفتح، ذَلِق .

أما الحاء، فهي كما سبق: صوت حلقي، مهموس، رخو (احتكاكي)، مستفل، منفتح، مصمت .

وأما الثاء، فهي صوت شفوي أسناني، مهموس، رخو، مستفل، منفتح، مصمت .

وباستعراض صفات هذه الأصوات الثلاثة: نجد أن صفات الضعف فيها هي الصفات الغالبة. فمن أين أتت صفةُ الظهور بمعنى الوضوح السمعي كما سبق؟!

في ظني: أن ذلك راجع إلى شيئيْن:

أولهما: أن الظهور- ويعني عدم الخفاء. ظهور نِسْبِيٌّ بالقياس إلى صوت أضعف، وهو الهاء مثلاً.

ثانيهما: أن هذا الوضوح النسبي يعود إلى ما تشتمل عليه هذه الأصوات الثلاثة من صفات خاصة بها تميزها عن غيرها.

ففي الفاء والثاء بعضُ التفشي، والثاءُ مصمتة، بينما الحـاء بَحَّـاءَ كمـا سبق.

"فمخرج الفاء يتم باحتكاك هواء التنفس بأطراف الثنايـا العليـا وبـاطن الشفة السفلي. ويمتاز هذا الصوت بصدى خـاص بـه، يتمثـل في وجـود بعض التفشي بها كالشين، وإن كانت الشين أكثر منها تفشيًا بالطبع.

والتفشي: هو الريح التي تخرج بشدة عند نطق الشين والفاء، وتخـرج من مخرج كل من هذين الحرفين على رتبته.

"وتملك اللغة العربية ستة أماكن احتكاكية لنطق كل من الحاء والفـاء، في مقابل خمسة وقفية".

هذا، وللدكتور/ علام ملمح صـوتي لطيـف في هـذا الخصـوص، إذ يقول عن الفاء: "عبّر القـدامى مـن علمـاء العربيـة مـع الشـدة والرخـاوة بالصوت، لأن الصوت تحيَّزتْ معالمه ولم يبق هواءَ تنفس.

فالفاء عندما تمر من الممر الضيق بين أطراف الثنايا العليا وباطن الشفة السفلي إنما تحيَّزتْ وتكونت، فهي صوت، وليست هواءَ نَفَس".

أما مخرج الحاء فمن أطول المخارج وأكثرها فراغًا أو اتساعًا، وتمتـاز بالاحتكاك الذي يتمثل في الضغط بالهواء المصاحب لها علـى مـا يعـرف فسيولوجيا أو تشريحيا بالعظم اللامي، وذلك الاحتكاك هـو الـذي يميـز صوت الحاء بالبُحَّة. وقد سبق.

وأما الثاء: "فيمر الهواء معهـا حـتى يصـل إلى تجويـف الفـم، فيمتـد اللسان حتى تكون رءوس الثنايـا العليـا فـوق طَرَفـه في نقطـة أدخـلَ في اللسان مما يكون مع الظاء والذال شريكتيْها في المخرج.



ولذلك: فاتساع انتشار الهواء عن طريق امتداد طرَف اللسان معها يكون أكثرَ من امتداده مع أختيْها" ، وبالتالي: ففيها بعضٌ من صفة

التفشّي التي توجد في الفاء.

كذلك تشتمل على صفة الإصمات، وهو من صفات القوة النِّسْبية إذا قورن بصفة الذلاقة، لأنه من الصفات التي تحتاج إلى جهد عضلي أكثر، وبالتالي: تكون قوة إسماعها أعلي .

يقول الشيخ محمد مكي نصر، مميِّزًا بين الصفات القوية والأخرى الضعيفة في الأصوات اللغوية: "اعلم أن الصفات تنقسم إلى قوية وضعيفة، أما صفات القوة فهي: الجهر والشدة والاستعلاء والإطباق والصفير والقلقلة والانحراف والتكرير والتفشي والاستطالة والغُنَّة.

وأما الصفات الضعيفة فهي: الهمس والرخاوة والبَيْنِيِّة (أي بين الشدة والرخاوة) والاستفال والانفتاح والذلاقة واللِّين والخفاء .

وباستعراض ما جاء في تقرير الشيخ نصر وما سبقه من درْس: نجد أن من صفات القوة التي تشتمل عليها الأصوات الثلاثة المذكورة

١- في الفاء: صفة التفشِّي أوالانتشار المتوسط.

٢- في الحاء : صفة الامتداد أو الاستطالة ، ثم البُحَّة.

٣- في الثاء : صفة الإصمات (مقابَلَةً بصفة الذلاقة الضعيفة)، ثم الامتدادُ (مقارنةً بالذال والظاء).

وهذا مما جعل في تلك الأصوات الثلاثة نسبةً من الوضوح السمعي أو الظهور، وهذا هو المقصود.

المراجع



١- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد البنا (الدِّمياطي) تحقيق: د/ شعبان محمد إسماعيل، ط الأولى ١٩٨٧م، نشر : عالم الكتب – بيروت.

٢- أسباب حدوث الحروف، أبو على الحسين بن سينا نسخ وتصحيح: محب الدين الخطيب، مطبعة المؤيَّد بالقاهرة ١٣٣٢هـ.

٣- أصوات اللغة العربية، د/ عبد الغفار هلال، ط الثانية ١٩٨٨م.

٤- أصوات اللغة العربية، د/ عيد الطيب، ط الأولى ١٩٨٣م.

٥- أصوات اللغة العربية، د/ محمد حسن جيل، ط الثالثة ١٩٩٣م.

٦- الأصوات اللغوية، د/ إبراهيم أنيس، ط الأنجلو المصرية ١٩٩٢م.

٧- بحوث ومقالات في اللغة، د/ رمضان عبد التواب، ط الأولى ١٩٨٢م.

٨- التطور اللغوي .. مظاهره وعلله وقوانينه. د/ رمضان عبد التواب، نشر الخانجي بالقاهرة ١٩٨١م.

٩- التطور النحوى للغة العربية، برجشتراسر، إخراج وتعليق: د/رمضان عبد التواب، نشر: الخانجي بالقاهرة ١٩٨٢م.

١٠- تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهرى، تحقيق: عبد السلام هارون، وآخرين، ط: دار القومية العربية – مصر ١٩٦٤م.

١١-التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الدانى، ط الثانية ١٩٨٤م، نشر: دار الكتاب العربى – بيروت.

١٢-حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، جلال الدين السيوطى، ط الأولى ١٩٦٧م، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة.

١٣- دراسة السمع والكلام، د/ سعد مصلوح، نشر: عالم الكتب، طبع بالقاهرة ١٩٨٠م.

١٤-دراسة الصوت اللغوي، د/ أحمد مختار عمر، ط عالم الكتب الأولى بالقاهرة ١٩٧٦م.

١٥- دراسات في علم أصوات العربية، جان كانتينو، تعريب : صالح القرمادى، الجزائر ١٩٤١م، وتونس ١٩٦٦م.

١٦-دراسات في علم أصوات العربية، د/ داود عبده، نشر مؤسسة الصباح. دون تاريخ.

١٧- دلالة اللفظ .. أطوارها وأنواعها. د/ عيد الطيب، ط الأولى ١٩٨٣م.

١٨-دلالة الألفاظ. د/إبراهيم أنيس. الطبعة الثالثة، سنة ١٩٧٦م.

١٩-ردّ (بغية المرتاد لتصحيح الضاد)، علي المنصوري (ت ١٠٣٤هـ)، بتحقيقنا، ط الأولى، سنة ١٩٩٦م.

٢٠-الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكى بن أبى طالب، تحقيق: د/ أحمد حسن فرحات، ط الثانية ١٩٨٤م، نشر: دار عمار – الأردن.

٢١-سر صناعة الإعراب، ابن جني، تحقيق: مصطفي السقا، وآخرين، ط مصطفي الحلبى الأولى بمصر، ١٩٥٤م.

٢٢-الشمعة المُضِيَّة بنشر قراءات السبعة المَرْضِيَّةْ، سبط الناصر الطبلاوى، بتحقيقنا، رسالة دكتوراه بمكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة . قسم الرسائل الجامعية ١٩٨٩م.



٢٣-شـرح شـعلة علـى الشـاطبية، أبـو عبـد الله المَوْصِـلِي، ط الأولى ١٩٥٥م.

٢٤-العربيـة.. لغـة العلـوم والتِّقْنِيَّـة، د/ عبـد الصـبور شـاهين، ط دار الاعتصام بالقاهرة، سنة ١٩٨٦م.

٢٥-علم الأصوات، برتيل مالبرج، تعريب : د/عبد الصبور شاهين، ط الأولى ١٩٨٤م، نشر: مكتبة الشباب بالقاهرة .

٢٦-علم اللغة.. مقدمة للقارئ العربى، د/ محمود السعران، نشـر: دار الفكر العربي بالقاهرة ١٩٩٢م.

٢٧-عن علم التجويد القرآنى.. في ضوء الدراسـات الصـوتية الحديثـة، د/عبد العزيز علام، ط الأولى ١٩٩٠م.

٢٨-العـين – الجـزء الأول، الخليـل بـن أحمـد، تحقيـق: د/ عبـد الله درويش، مطبعة العانى ببغداد ١٩٦٧م، وتحقيق الدكتورين : مهدي المخزومـي، وإبـراهيم السـامرائي، نشـر: مؤسسـة الأعلمـى للمطبوعات – بيروت – لبنان، ط الأولى ١٩٨٨م.

٢٩-غيث النفع في القراءات السـبع، (هـامش : سـراج القـارئ)، علـى النورى الصفاقسى، ط دار الفكر ١٩٨١م.

٣٠-الكتاب (كتـاب سـيبويه) سـيبويه، تحقيـق : عبدالسـلام هـارون، ط١٩٧٥م.

٣١-لسان العرب، ابن منظور، تحقيق : عبـد الله الكـبير، وآخـريْن، ط دار المعارف بمصر – دون تاريخ.

٣٢-اللغة العربية .. معناها ومبناها، د/ تمام حسان، ط الهيئة المصـرية العامة للكتاب، سنة ١٩٧٣م.

٣٣- لغة قريش، مختار سيدي الغوث، النادي الأدبي بالرياض، ط الأولى، سنة ١٣١٣هـ / ١٩٩٢ م

٣٤- لهجات العرب، أحمد تيمور، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.

٣٥-المدخل إلى علم الأصوات، د/ صلاح الدين صالح حسنين، ط الأولى ١٩٨٠م.

٣٦-المدخل إلى علم اللغة، د/ رمضان عبد التواب، ط الأولى ١٩٨٠م، نشر: مكتبة الخانجى – القاهرة .

٣٧-المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها – الجزء الأول، محمد الأنطاكى، ط الثالثة ١٩٧١م، دار الشرق العربى– بيروت.

٣٨-المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط الثالثة ١٩٨٥م.

٣٩- من تراث لغوى مفقود لأبى زكريا الفراء، صنعة : د/ أحمد علم الدين الجندى، نشر: مركز بحوث اللغة العربية وآدابها، جامعة أم القرى ١٤١٠هـ.

٤٠-النشر في القراءات العشر، ابن الجزرى، تصحيح : محمد على الضبّاع، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، دون تاريخ.

٤١-نهاية القول المفيد في علم التجويد، محمد مكى نصر، ط مصطفي الحلبى بمصر ١٣٤٣هـ.

٤٢-النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق : طاهر الزواوى ومحمد الطناحى، ط الأولى ١٩٦٣م- القاهرة .

الفهرس

